١١٠١
1101
HARLEQUIN
كبير
دار م. النحاس

في ظلال البرج

سارا غرافن

www.elromancia.com
مرمورية

في ظلال البرج

سارا غرافن

هنا، في دنيا العطر في بريجورد، يكمن ماضي سابين الغامض وفضيحة رحيل والدتها بسرية تامة، وشخصية والدها المهم.

وفي كروم اسلافها، تعرفت سابين على روهان سانت ايف، رجل يحب بقوة خارقة كما يكره...

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس: ٢ دينار

«انني مستعد ان ادفع أي سعر تطلبينه... ضمن المنطق.»

«هكذا إذن؟ لا بد انك مجنون.»

«انني سليم العقل جداً، أؤكد لك ذلك، اريد منك ان ترحلي، كما افضل ذلك اليوم، وعلى الأكثر غداً، واتمنى ان تفكري بما قلته بمنتهى الجدية.»

قالت: «انه لا يستحق التفكير، انه اهانة.»

«حضورك لا يحتمل هنا، يا آنسة، ومن المؤكد انك تشاهدين ذلك بوضوح.»

«لا اشاهد شيئاً من هذا القبيل، وسأغادر عندما اريد، اما بالنسبة للعرض فلن ألمس أي قرش من مالك العفن.»

هز كتفيه وقال: «عندها عليّ ان استعمل وسائل أخرى.»

سارة كريفن

ولدت سارة كريفن في ساوث ديفون ونشأت محاطة بالكتب، في منزل قريب من البحر. وبعد أن تركت مدرسة القواعد، عملت صحافية محلية، تغطي كل الاخبار الاجتماعية في ما يتعلق بمعارض الزهور، إلى الجرائم. وقد ابتدأت بالكتابة لمؤسسة ميلز اند بون في سنة ١٩٧٥.

عدا عن الكتابة، فهي تهوى الأفلام والموسيقى والطبخ وتناول الطعام في المطاعم الفاخرة. وهي الآن تعيش في سومرست مع زوجها الثاني، وهو رياضي دولي سابق في لعبة الرغبي. وكلبي صيد. عندها ولدان وثلاثة أولاد لزوجها

عبير ١١٠١

Abir 1101

في ظلال البرج

سارا كرايفن

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

فتحت سابين الباب الأمامي وسارت نحو القاعة الكبرى، توقفت للحظة، تنظر حولها، منتظرة ان تشعر بشيء ما... حنين الطفولة، ربما أو الندم، لكن كل الذي شعرت به احساس غريب بالفراغ.

فكرت، ان البيت مثل الفراغ، ينتظر مالكيه الجدد حتى يمتلىء، قالت لنفسها، لا شيء لي هنا، لكن بعد موت والدتي، لم يكن لي شيء منذ البداية.

تمنت لو انها لم تأتِ، لكن السيد براي بروك كان شديد الاصرار.

«عليك مقابلة الآنسة راسيل لمناقشة تقسيم الأرث، فمازال هناك الثياب، كما علمت، واشياء خاصة عليك استلامها.» شيء ما في سابين جعلها تتراجع.

قالت: «اعتقد انها... شيء من الاحسان.»

«مهما يكن الأمر، لكن بالتأكيد هناك هدايا للذكرى، قطع صغيرة من الاثاث... وربما، اشياء تريدينها؟»

هزت سابين كتفيها. «كل الذي اريده مجوهرات والدتي، هذا ما كتبته في وصيتها انها تعود إليّ بعد وفاة والدي.» توقفت قبل ان تتابع بحزن: «انني لست متأكدة انه كان يريدني ان احصل على أي شيء آخر، كانت تمر اوقات خلال السنين الماضية كنت اشعر فيها انه يكرهني، ولهذا ابتعدت عنه، في النهاية.»

بدا الألم واضحاً على السيد براي بروك: «لكنك كنت طفلة السيد راسيل الوحيدة، عزيزتي، ويجب ان لا تشكي ابداً انه احبك حتى ولو لم يظهر ذلك ابداً.»

تنهدت سابين: «كن صادقاً، سيد براي بروك، لقد ترك لي البيت مناصفة مع عمتي، وهذه هي ممتلكاته المادية، واعتقد انك قد جاهدت كثيراً لتؤمن لي هذا الجزء من امواله.» نظرت اليه متسائلة وتابعت: «هكذا اذن، أليس كذلك؟»

تغيرت تعابير وجهه وكأنه محرج: «انني حقاً لا استطيع ان اتحدث عن مشاوراتي مع زبائني.»

هزت رأسها وقالت بهدوء: «كنت اعلم انني محقة، لا بأس، سيد براي بروك لقد تمكنت من ان اتحمل كل شيء، اعتقد ان والدي من الاشخاص الذين لا يستطيعون ان يحبوا الا شخص واحد في حياتهم، ولقد كنت انكره دائماً بها، وهو لم يستطع ان يتحمل ذلك.»

نظر اليها السيد براي بروك لفترة طويلة، بعدها قال بلطف: «لا اعتقد، يا عزيزتي، ان والدك كان دائماً حكيماً.»

وقفت صامتة في القاعة الكبرى الآن، تشعر بالألم الذي كان يسببه رفض هاغ راسيل لها. ضغطت على يديها بشدة، حتى شعرت بألم اظافرها في باطن كفيها، بعدها تركت يديها ترتاحان.

رفعت كتفيها مستخفة بالأمر، وسارت نحو غرفة الجلوس.

«اذن لقد اتيت.» هذا ما قالته عمتها روث التي كانت تجلس على كرسي هزاز بجانب الموقد الفارغ، وهي تحمل

بيدها قطعة رائعة من التطريز، تمكنت سابين عبر الغرفة من الاحساس بالكره والعداوة التي تكنها لها عمتها، وتساءلت كم كان لها تأثير على شقيقها في تلك السنوات الماضية.

قالت بهدوء: «لم يكن هذا خياري، لكن يجب ان يتم اخلاء البيت، كما أرى، متى سيتم بيعه نهائياً؟»

قالت بتبرمها المعتاد: «نهار الجمعة، لقد جهزت قائمة جرد بالمفروشات الموجودة ونقلت القطع التي اريدها لنفسي.»

«هذا أمر جيد، يمكننا ان نرسل ما تبقى إلى صالة للبيع.»

حدقت آنسة راسيل فيها: «اليس هناك ما تريدينه؟»

نظرت سابين حولها في تلك الغرفة، لقد اصبح لديها الآن شقتها الخاصة، جميلة وواسعة ومليء بالاشياء التي اختارتها بنفسها وبعناية، لقد اصبح لديها حياتها الخاصة الآن، ولا تريد أي شيء ينكرها بالماضي، ومع ذلك...

قالت: «فقط اريد صندوق المجوهرات الذي يعود لوالدتي، شكراً لك.»

«ذلك الاسم الكريه.» وتغير تعبير وجهها فجأة، ليظهر كره اعمى: «خذي كل ما يعود لها، لا اريد شيئاً منها.»

قالت سابين بروية: «لا، انت لم تحبيها يوماً، أليس كذلك؟»

قالت ما هو واضح وجلي انه السبب المؤلم والقديم: «كان بامكان هاغ ان يتزوج أية امرأة، لكنه اختار امرأة غريبة... فتاة لا أساس لها... وبدون أي مركز اجتماعي.»

قالت سابين بحدة: «لقد قام الفرنسيون بثورة الأمم

سابقاً، وكان من المفروض ان تقضي على هذا النوع من التفكير، وان تضع الحرية، المساواة والأخوة.» نظرت بحدة إلى يديها المنشغلتين بالتطريز، وتابعت: «لقد احتاج الأمر لكثير من العمل الشاق، أيضاً.»

«انك... وقحة.»

وافقت سابين: «نعم، لكنني حاولت ان اكون مهذبة لوقت طويل، عمتي روث، ولم اصل إلى أي شيء، عدم حبك لوالدتي توجه إليّ، أليس كذلك؟ لقد تساءلت دائماً عن السبب، لقد كنت ابنة شقيقك، في النهاية.»

«آه، لا، لم تكوني ابنة شقيقي.»

تفوهت عمتها بهذه الكلمات مما جعل سابين تشعر بالصدمة، وكان المرأة العجوز قد نهضت من مكانها فجأة، وضربتها على وجهها.

قالت متلعثمة قليلاً: «ما الذي تقولينه؟»

«لقد قلت انك لست ابنة شقيقي.» بدت الكلمات وكأنها تخرج من بين شفتيها المطبقتين... والعنف والمرارة واضحتان على وجهها، علمت سابين، وهي مذهولة، ان ذلك بسبب ما كتمته لسنين «والدتك... تلك الوالدة الغالية التي تتكلمين عنها دائماً بتبجيل.. لم تكن اكثر من امرأة حقيرة، لقد كانت حامل عندما تعرف عليها هاغ، كانت تعيش مع عائلة دراموندز... انها عائلة رائعة... ولقد ذهب إلى هناك كمدعو للعشاء، ذهلت سيدة دراموندز عندما ادركت بوضع ايزابيل، لقد طردتها خارج البيت على الفور...»

تابعت بصوت قاسي: «لقد كانت حامل في الشهر السادس

عندما تزوجها هاغ، لقد توسلت إليه الا يفعل، لكنه كان مغرماً بها، كما انه لم يظهر أي اهتمام بأية امرأة، ابداً، آه! لم يفكر حتى باختيار غيرها، وكل من عرف بالأمر... كان يضحك علينا.»

وجدت سابين انه يصعب عليها ان تتنفس، حاولت ان تتكلم بهدوء: «انك تكذبين. أجل انك تكذبين. لقد شاهدت وثيقة ولادتي، والدي هو هاغ اوليفر راسيل، مهما كنت ترغبين بتغير الحقائق.»

«بالطبع، اسمه على وثيقة الولادة لقد سجل الولادة بنفسه، وادعى انه والدك... وحمل مسؤوليتك، لم يكن هناك احد غيره، لقد تزوج منها، وبذلك تقبل ان يتحمل هذا العار، لقد طلبت منه ان يفعل ذلك.»

شعرت سابين ان قدميها تخذلانها، فكرت ان عليها الوصول إلى أي مقعد قبل ان تنهار على الأرض، سارت بطريقة ما إلى الجانب المواجه من المدفأة وجلست.

لم يكن هناك من حاجة للنقاش والانكار، لقد علمت هذا الآن، لأن روث راسيل قد تفوهت بالحقيقة اخيراً، بصدق مخيف لا يترك أي اثر للشك، ومع انها شعرت بنفسها تتمزق من الداخل، في ذات الوقت رحبت باعتراف المرأة المخيف، لأنه يضع حداً لاسئلة كثيرة كانت تقض مضجعها.

كانت تفكر انها قد اساءت إلى هاغ راسيل بطريقة ما، أو انها غير محبوبة منذ ولادتها، وربما لأنها بقيت الطفلة الوحيدة لديه زاد من المشكلة أيضاً.

قالت: «اتمنى لو انه اخبرني ذلك بنفسه.»

«ما كان ليفعل ذلك، فلقد كان مخلصاً جداً لها.»

رفعت سابين ذقنها: «هل كان يعلم... من كان والدي الحقيقي؟»

هزت روث راسيل رأسها: «لم تتكلم عن هذا مطلقاً طوال تلك السنين، رفضت الكلام عن هذا الموضوع... حتى انها لم تشر لذلك مرة.»

قالت سابين بسرعة: «مع انني متأكدة انك لم تترددي ابداً في ازعاجها بهذا الموضوع.»

«كان لدينا الحق ان نعلم ابنة من تكونين.»

قالت سابين موافقة: «هذه بالتأكيد وجهة نظر محقة.» اخذت نفساً عميقاً قبل ان تتابع: «في ظل هذه الظروف، اعتقد انك تريدين مني ان انقل كل اغراض والدتي من البيت.»

«اردت منه ان يفعل ذلك بعد موتها، ان يتخلص من كل أثر لها، لكنه لم يفعل، بالرغم من كل ما فعلته... حتى بعد موتها... استمر على حبها الاعمى، الاحمق.» وانهمرت الدموع على وجه روث راسيل.

قالت سابين بلطف: «اعلم ذلك، ولهذا السبب سأبقى على حبه دائماً.» وقفت بسرعة: «سأصعد إلى الطابق العلوي، وداعاً... آنسة راسيل، هناك اسباب قليلة جداً تدعونا للاجتماع ثانية.»

«ليس هناك من داع ابداً.» كانت لهجتها كالسكين الذي يقطع أية علاقة قد تبقى بينهما.

قررت سابين بازعاج أن ليس هناك من داع للمحاولة كي تسلم عليها، وغادرت الغرفة.

كانت لاتزال مندهشة من الوقائع التي سمعتها في نصف الساعة الاخيرة وهي تصعد إلى الطابق العلوي، لقد اتت

لمواجهة أمر غير مفرح لكنها كانت قد اعتادت على طريقة عمتها، وفجأة، تبدل كل شيء امام عينيها، حياتها الداخلية قد انقلبت رأساً على عقب، وكل دقائق حياتها تغيرت.

فاذا لم تكن تحمل أية رابطة دم مع هاغ راسيل، فهي تجد ان من واجبها الاخلاقي ان ترفض أي جزء من ممتلكاته، عليها التحدث مع السيد براي بروك بذلك.

لكنها لن تفكر بذلك الآن، ستركز على العمل الذي ستقوم به وتتخلص منه بأقصى سرعة وباكثر ما تستطيع من العناية.

خلال حياة ايزابيل راسيل، كانت تتشارك مع زوجها غرفة النوم الكبرى في المنزل لكن بعد موتها انتقل إلى احدى الغرف الصغيرة، والعمة روث... مع انه عليها ان تتوقف عن التفكير بها هكذا.. اخذت تلك الغرفة.

كان عمرها اربعة عشر عاماً ومازالت تعيش في تلك الغرفة الصغيرة التي كانت لها من والدتها، لقد كانت دائماً مساحة غالية وعزيزة على قلبها، ومع تلك الايام، التي كانت الآنسة راسيل تضيق عليها الخناق، كانت تشعر ان تلك الغرفة هي ملاذها الوحيد.

في آخر الأمر، شعرت سابين بالسعادة لأنها ذهبت إلى الجامعة، حيث التحقت بمعهد تعلم اللغات الاجنبية، كانت ايام العطلة تسبب لها ازعاجاً لا يطاق مما منعها من العودة إلى البيت في النهاية، وبعد حصولها على شهادتها الجامعية، قررت ألا تصبح معلمة، بل ان تعمل كمترجمة لحسابها الخاص، وحتى الآن، لم تندم على خيارها هذا.

كانت ممتنة أيضاً لأن اصبح لديها بيتها الخاص، وذلك

من خلال عملها في ايام العطلة، وهكذا لم تعد تعتمد كلياً على هاغ راسيل، لأنها كانت تعلم ان روث راسيل تتذمر، وتحقد عليها بسبب كل قرش تأخذه.

بالنسبة لها لم اكن الا دخيلة، هذا ما كانت تفكر به، وهي تفتح باب غرفة النوم، على الاقل اصبحت اعرف الآن السبب، لدى الآنسة راسيل هوس من ان أشعة الشمس تفقد السجاد والمفروشات الوانها الاساسية، لذلك كانت الستائر المعدنية نصف مغلقة، رفعت سابين الستائر، تاركة نور شمس حزيران (يونيو) يملأ الغرفة، بعدها نظرت حولها بأمان.

كانت كمن يعود إلى الأيام الماضية، وللحظة قصيرة شعرت برجفة خفيفة في اوصالها، كان السرير خالياً حتى من الفراش، بالطبع، لكن كل ما تبقى في الغرفة مازال كما هو، حتى كادت ان تتخيل والدتها ستدخل لتجلس على طاولة المكياج كي ترفع شعرها كما كانت تفعل وهي تتمتم بنعومة كما كانت تحب ان تفعل.

ماذا كانت اغنيتها المفضلة عندما كانت طفلة؟ اخذت سابين تتذكر الاغنية.

وقد علقت الآنسة راسيل مستنكرة، انها ليست أغنية ليسمعها طفل، لكن ذلك كان جزء من صبر وتصميم ايزابيل لتجعل سابين ناطقة باللغتين بنفس الجدارة.

كانت تقول لها دائماً: «لديك دم فرنسي، يجب ان تشعري بالفخر وانت تتكلمين لغتنا الجميلة.»

كانت ايزابيل شقراء، ولديها عينان عسليتان، تزيدان جمالاً على بشرتها الزاهية.

لقد ورثت سابين عن والدتها لون شعرها، لكنها كانت

تبقيه قصيراً مصففاً بالتدريج ليصل إلى كتفيها، كما ان لها ذات الطول، وان كانت اضعف من والدتها قليلاً، لكن كانت عيناها تميلان إلى اللون الأخضر لتزيد على جمالها سحراً خاصاً.

كانت أيضاً تحاول ان تتشبه بايزابيل، من خلال شرائها افضل الثياب والمحافظة عليها باهتمام شديد.

كانت روث راسيل تدعي دائماً ان زوجة شقيقها لا مركز اجتماعي لديها. مع ذلك كانت ايزابيل تتمتع بأناقة خاصة تجعل كل امرأة تبدو بجانبها باهتة، وربما هذا هو سبب الكره الاعمى للعمة لها.

وقفت تتلمس بدون وعي منها الفرشاة والاوعية على طاولة المكياج، حتى عندما بدأت تشعر بتغير تقبل هاغ راسيل لها لم تشك يوماً، فهي كانت تؤمن دائماً بقوة زواج والديها، وقوة حبهما لبعضهما، والآن عليها مواجهة الحقيقة ان كل ذلك كان مجرد وهم.

أحبت ايزابيل شخصاً آخر غير زوجها. وتساءلت سابين اذا كان ما قالته روث راسيل صحيحاً، ان ايزابيل قد اجبرت هاغ راسيل ان يعامل طفلتها وكأنها ابنته... حتى انها جعلت ذلك شرطاً لقبولها بالزواج منه.

فكرت سابين، لقد كان يحبها، لكن هي هل كانت تحبه؟ هل كان ذلك حباً أم انه مجرد افتنان بسبب انه قدم لها مكاناً آمناً؟ هذا ما لن تعرفه ابداً.

عضت على شفتها، وسارت نحو الخزانة، لتفتح ادراجها، كانت الجميع الثياب معلقة هناك مغطاة بالبلاستيك... البدلات الرسمية، والفساتين لكل

المناسبات، مع الأحذية، ذات الاكعاب القصيرة، مرتبة ونظيفة في الدرج الاسفل.

رفعت الحقيبة الكبيرة من على سطح الخزانة، ووضعتها على السرير، وبدأت بوضع الثياب فيها، بترتيب متناه وبعناية كما لو ان ايزابيل تفعل ذلك.

في بعض الاحيان، كان ينبعث من الثياب رائحة العطر الذي كانت تضعه ايزابيل، وهذا كان الاكثر تأثراً لها، فكرت سابين، وهي ترتجف، انها تستطيع ان تفهم لماذا كان هاغ يتهرب دائماً من تنظيف خزانة زوجته، وادركت أيضاً، باهتمام انه لم يكن يسمح ابداً لشقيقته ان تتخلص من كل ما فيه.

لقد استغرقت حوالي ساعة لتفرغ الخزانة وطاولة المكياج، لم تسرع في عملها، بل كانت تستغل الوقت بالتفكير الجاد والمضني، تنبهت للمرة الأولى في حياتها انه كان هناك الكثير من الاحداث الهامة في طفولتها.

أولاً مع ان ايزابيل كانت تحببها بلطف باللغات الاجنبية وتعلمها طريقة التكلم بهم وكانهم لغتها الاساسية، لكنها في ذات الوقت كانت غامضة بشكل غريب بشأن حياتها الخاصة، وعندما كانت سابين تسأل عن فرنسا وعن الحياة فيها، كان ايزابيل تتكلم بحماس عن باريس عندما كانت تتعلم الفنون فيها، ولذلك طالما اعتقدت سابين ان والدتها باريسية المولد.

لكن كل هذا افتراضات، كما اكتشفت اليوم، وهذا خطير جداً، فلم تقل ايزابيل يوماً اين ولدت، كما انها لم تتكلم يوماً عن عائلتها، سألتها سابين ان كان لديها جد أو جدة في فرنسا، أو أي عم أو خال.

كانت ترى انه من الجائر ان تكون العمة روث هي قريبتها الوحيدة، لكن ايزابيل قالت ان لا اقارب لها، واضافت، من حسن الحظ.

الأمر الثاني، الذي ادركته، انهم لم يذهبوا مرة في عطلة إلى فرنسا، حتى انها لم تفكر مرة انه انطرح الموضوع، وكانه محظر التفكير بذلك.

مع انهم ذهبوا إلى اسبانيا، ايطاليا، واليونان مرات عدة ومن المؤكد انه من الطبيعي ان ترغب ايزابيل برؤية موطنها الاصلي.

تساءلت بدهشة، لما لم افكر بذلك من قبل؟ ربما لأنني كنت صغيرة، ولأن الحياة كانت تسير بشكل طبيعي لذلك لم اجد الوقت أو السبب لأسأل عن ذلك.

تركت الدرج الأعلى من طاولة المكياج للنهاية، فهو لايزال مليئاً بمستحضرات التجميل، وفي آخره صندوق المجوهرات لوالدتها. امسكت سابين به بنعومة كانت والدتها تهتم به بشكل خاص. ولقد كتبت في وصيتها: «صندوق مجوهراتي وكل ما فيه يعود بالتحديد لابنتي سابين.» مع اضافة ملحوظة ان هذا الأمر لا يتم الا بعد موت هاغ راسيل، وتحذير والدتها يدل على اهتمامها بعدم جرح شعور زوجها.

في الواقع، لم يكن هناك الا اشياء صغيرة في داخلها، فقط ساعتها وعدد من ازواج الحلق، وعقدها اللؤلؤ الثمين، لاحظت ان علبته لا تغلق بشكل جيد، وعندما رفعته اكتشفت لماذا، رأت تحته رزمة صغيرة مغطاة بورقة صفراء.

نزعت سابين الورقة بعناية، محاولة ان لا تمزقها، وهي

تشعر وكأنها تتدخل بما لا يعنيها، سقط في يدها ميدالية وسلسلة فضية، اخذت تنظر اليهما، وهي غاضبة، فهي تعلم كل مجوهرات والدتها حتى الصغيرة منها، وهي بالتأكيد لم تشاهد هذه من قبل، مع ان عليها الاعتراف انها ميدالية جميلة، اضافة إلى انها تبدو قديمة، ومن خلال وزنها لا بد انها قيمة أيضاً، ومن الواضح ان... وجودها في قاع الصندوق، كي لا يشاهدها احد.

كان هناك نوع من الحفر عليها، اخذتها وسارت نحو النافذة لتعرضها للضوء اكثر، لم يكن الرسم عليها واضحاً، لكن لا بد ان شكل البناء عليها يشبه البرج، فكرت وهي تمرر باصابعها عليها، ان تحت المبنى هناك زهرة وقد تكون أو لا تكون وردة.

نظرت سابين إليها لفترة طويلة، مدركة ان هناك شيء غريب يتحرك في فكرها، بعض الذكريات المنسية، لكن ما ان حاولت ان تتذكر بحق، حتى غابت عن بالها. هذا أيضاً سؤال لا تعرف جواباً له، تنهدت بحيرة، واعادت الميدالية إلى مكانها.

كادت ان تعيد الورقة إلى مكانها عندما لاحظت ان قماش الستان الذي يغلق صندوق قد تمزق من احدى جوانبه، وقد برز من خلاله بعض الفرزات على القماش.

فكرت ان هذا ليس طبع والدتها، وتساءلت متى حدث ذلك؟ مررت بيدها فوق القماش، لتجد بصورة غير متوقعة بعض الانتفاخ في داخله، لا بد من وجود شيء ما هناك... تحت القماش، اخذت مقص الاظافر وقطعت به الفرزات.

وجدت ان هذا الشيء هو مغلف تحيط به شريط من مطاط

فتحته سابين ببطء، وافرغت محتوياته على طاولة المكياج، سقطت اولاً علاقة مفاتيح مربوطة بحلقة عليها بومة وتبعها مغلف صغير للصور، صورة بطاقة بريدية، واخيراً بعض الأوراق الرسمية في فرنسا.

فكرت مندهشة، انها رزمة مختلطة، مثل تلك اللعبة التي تريد ان تحفظ اكثر من شيء في مرة واحدة.

التقطت الاوراق الرسمية، ونشرتها امامها، اخذ قلبها يخفق بشدة وهي تنظر اليها. قرأتها مرتين، لكنها حصلت على ذات الاستنتاج، انها كعنوان لبيت في فرنسا، بيت يدعى ليه هيبو، يقع في مقاطعة دوردونيو، والتي تعلم انها في جنوب غربي فرنسا، بالقرب من موطن يدعى اسيجاك. لكن هذا لا يعني لها شيئاً.

«صندوق مجوهراتي وكل ما فيه يعود لابنتي سابين.» وكل ما فيه...

شعرت بأنها اصبحت باردة فجأة، اعادت كل الاشياء إلى المغلف، ستنظر إلى ما تبقى فيما بعد، اما الآن فكرت ان لديها الكثير من الصدمات لتستوعبها، وهي تضع الصندوق في الحقيبة، وتنظر للمرة الأخيرة حولها.

• • •

تركت المغلف على طاولة الطعام بينما كانت تحضر لنفسها العشاء. في كل مكان تذهب اليه في الشقة، كانت تشعر بأنها تنظر اليه من طرف عينيها، لم تكن تستطيع ان تتجاهله.

كانت قد ذهبت إلى المكتبة وهي في طريقها إلى البيت

لتأخذ معها بعض الكتب عن دوردونيو، اخذت تتفحصهم وهي تأكل.

المقاطعة الحقيقية حيث يقع البيت تدعى باريغورد وتقسم إلى ثلاثة: المقاطعة البيضاء، الخضراء والسوداء، بيتها ليه هيبو يقع في باريغورد السوداء. وقد دعيت هكذا، بسبب شجر السنديان الذي يغطي مساحات شاسعة فيها، كما انها نقطة سياحية هامة.

اكتشفت ان اسيجاك، جنوبي برجراك، هي أرض مشهورة بشراب العنب.

جزء من شهرة باريغورد تعود إلى مطبخها، قرأت انه مشهور بكبد الدجاج مع الخضار، والفستق ميزة خاصة، من اجل الزيت للسلطة، وكذلك لاضافته على بعض المأكولات.

صنعت فنجاناً من القهوة، وامسكت بالمغلف، فكرت بالبيت ليه هيبو، عندما سقط المفتاح بين يديها، هيبو يعني بومة بالفرنسي، وضعت المفتاح جانباً، وفتحت مغلف الصور.

لم تكن صوراً كثيرة العدد، وجميعها باللونين الاسود والابيض، اخذت تنظر اليهم باهتمام، كانت صوراً عادية، لطفلين، فتاة بالكاد تخطت سنتها الأولى مرتدية قبعة للشمس وفستاناً ذات كشاكش، وبجانبها صبي اكبر سناً، منها، يحدق باهتمام بالكاميرا، فكرت ان والدتها قد اعطتها انطباعاً انها الفتاة الوحيدة في عائلتها، لكن هل هذه هي الحقيقة؟ هل كان لديها اقارب... عائلة حقيقية تعيش في جنوب غرب فرنسا؟ الصورة الثانية كانت لرجل، يقف بمفرده خارج بناء حجري طويل كانت الصورة غير

واضحة، وملامح وجهه غير مميزة، لكن شعرت سابين ان صاحب الصورة ليس شاباً، نظرت إلى الجانب الآخر من الصورة، آملة ان تجد الاسم أو التاريخ أو أية معلومة، لكن لم يكن هناك شيء، بقي الرجل والاطفال مجهولين.

نظرت إلى البطاقة البريدية، ورفعت حاجبيها بفرح، انها تمثل قلعة لقصة جميلة... قلعة جميلة لديها سقف عالٍ وسطوح منزلقة مزينة بابراج، قلبت سابين البطاقة وقرأت قصر تور مونشوزيت فقط ولا كلمة أخرى.

رأت ماركة لشراب العنب عليها ذات الكلمات الموجودة على البطاقة، لاحظت سابين انها صورة لبرج عالٍ، يقف بمفرده، وعلى قاعدته، وكأنها مرمية على الأرض من احد نوافذ البرج العالية، وردة محفورة بشكل واضح.

انها ذات الرسم على الميدالية، هذا ما فكرت به، وهي تشعر ببعض الاثارة، برج ووردة، لا بد ان هناك شيء ما... شيء سمعت به من قبل.. ربما احدى القصص اخبرتها لها والدتها عندما كانت صغيرة. آه، لما لا اتذكر؟ يجب ان اعرف.

فكرت، ان تلك المجموعة الغريبة، هي ماضي والدتها، اخذت تعيدهم إلى المغلف بهدوء، تستطيع ان تفهم كل هذه السرية المتعلقة بالمستندات والمفتاح، لكن ما هو الأمر المهم بالنسبة لما تبقى؟

حسناً هناك طريقة واحدة لمعرفة ذلك، كما ان لديها القدرة ان تذهب إلى فرنسا لتقوم ببعض التحريات.

لكن هل تستطيع؟ لقد تركت لها والدتها الصندوق، لكنها اخفت هذا المغلف جيداً، متأكدة ان لا يقوم احد باكتشافه

على الاقل حتى وفاة زوجها، من الواضح انها لم تكن ترغب مطلقاً ان يعلم هاغ انها تملك بيتاً في بلدها الأم، لكن لماذا اخفت حقيقة مهمة كهذه؟ فلا معنى لكل ذلك... لا معنى مطلقاً.

ربما لم ترد ايزابيل ان يكتشف احد أمر وجودهم، كانت ترغب ان تخفي سرها، وان يموت ويدفن معها.

فكرت سابين، لكن ربما لا تريد ذلك، والا كانت قد حرقت المغلف، ورمت بالمفتاح بعيداً، لا. للخير ام للشر، انهم تركوا لي والآن عليّ ان اتخذ القرار.

ليه هيبو، البوم طير الشؤم.

ارتجفت فجأة، وأمسكت بيدها مغلف الصور، ليقع منها على الأرض، انحنت على السجادة لتلتقطه عندما طالعها وجه الصبي يحدق بها بتحد وبعدوانية.

نظرت اليه وقالت بصوت عالٍ: «انا لا اعلم من انت، لكن آمل ان تكون قد اصبحت اكثر ليونة، أو من الافضل ان لا نلتقي ابداً، لأنه مما لا شك فيه انك عدو شرس.»

الفصل الثاني

أوقفت سابين سيارتها بجانب الطريق، نظرت عبر الوادي إلى الغابة الكثيفة في التلة المقابلة، وسطوح المنازل التي تلمع تحت اشعة الشمس، ورأت تحت الاشجار، مغطية السهول، دوالي العنب، صفوف صفوف، كفرق الجيش الأخضر.

فكرت ان قصر لا تور مونشوزيت هو عند نهاية الطريق. قالت لنفسها، ليس عليّ القيام بذلك. استطيع فقط ان اشاهد المكان، والتقط له بعض الصور، وبعدها اتابع السفر واضع الماضي ورائي، واتعامل مع الأمر وكأنه رحلة عادية.

تستطيع ذلك، لكنها تعلم انها لا تقدر، فبمساعدة السيد براي بروك، ادركت بما انها الابنة الوحيدة لايزابيل ريكارد، فهي بالتالي الوريثة الوحيدة لبيتها ليه هيبو.

بيت في فرنسا هو عز لا قدرة لها عليه، لكنها بحاجة إلى زيارته أولاً مرة على الاقل... لتتخذ القرار المناسب بشأن المستقبل عن ميراثها الغير متوقع.

لقد سافرت إلى بوردو البارحة، واستأجرت سيارة فور وصولها إلى المطار. استقلت سيارتها، وقادتها ببطء متوجهة إلى برجراك. كل من عرف بسفرها قال: «قيادة السيارات في فرنسا نعمة، فالطرق رائعة، وحركة السير خفيفة.»

هذا ما وافقت عليه حتى الآن. فالطريق من بوردو إلى

برجراك مستقيمة وسريعة، ولم تصادفها أية مشاكل تذكر، ولقد اعجبت جداً بالمنطقة، كما قامت بحجز غرفة في احد الفنادق الفخمة، بعدها قامت بزيارة القسم القديم من المدينة بناء على تعليمات المضيفة في الفندق، وهي طريق فرعية تحيط بها الاشجار وتوصل إلى مباني قديمة متقاربة من بعضها البعض.

مع ان هناك العديد من السياح، خاصة من بريطانيا، المانيا والدانمارك، شعرت سابين ان لا رغبة لديها بالانضمام إلى كل ذلك الحشد، لكن كان هناك مكان لكل شخص.

في احد الاماكن وجدت منحوتة سيرانو دو برجراك، بأنفه المشهور، ورأت الكثير من المقاهي والمطاعم الجميلة لتختار منهم مكاناً تقضي فيه بعض الوقت، لكنها لم تجد نفسها قادرة على الاندماج مع الطعام الفرنسي بسرعة.

اختارت طعاماً تقليدياً، خليط من الفاصوليا متبلة مع خضار يابسة، مع قطعة من اللحم الناعم تشوى امامها، وبينما كان طعامها يحضر تناولت بعض المقبلات الشهية وشراب من عصير العنب ذهبي اللون، شعرت وكأنها تتذوق طعم العسل والزهور معاً، فكرت ان كل ما تراه امامها يبعث على الراحة. لكن بخيبة امل، لم تكن لها القدرة على اكتشاف قصر لاتور مونشوزيت.

قبل ان تنطلق في رحلتها في اليوم التالي، زارت كروم العنب ومكتب التصدير، وفي داخل المبنى القديم وجدت ان جميع العمال نشيطون وسعداء.

كانت قد حصلت على خريطة محلية، حيث اشير لها بالتحديد عن حدود قصر لاتور مونشوزيت، كما قيل لها ان عليها التوجه إلى طريق فيلاريل خارج اسيجاك، لكن لمسافة قصيرة فقط. هناك ستجد إشارة امام القصر، لكن لقد حذروها، انها لن يسمح لها بالتجول داخل القصر أو حتى داخل كرومه، فهو يعود إلى السيد دو روشوفور وعائلته، ولقد منع على الزوار الدخول اليه منذ فترة طويلة ذلك بسبب سوء صحته، وربما من الأفضل لها ان تتصل بالهاتف اولاً.

مع ذلك، فقد اضافوا ان هناك الكثيرين من ملاكي حقول الكرمة، الذين يسعدهم لقاءها والتجول معها في الكروم واعطائها معلومات كافية عن اعمالهم وتجارتهم، وقد اعطوها قائمة بأسمائهم.

كانت تبحث أيضاً عن منزل يدعى ليه هيبو، ووجدت ان ذلك اشد صعوبة، فمن اجل الحصول على معلومات دقيقة وغير هامة عليها التحدث مع اهل المنطقة، ولا يمكنها ايجاد أي توضيح عن ذلك باكثر الخرائط خصوصية للسياح.

كان عليها الاعتراف، ان القصر محاط من كل جوانبه بالاشجار حتى لا يكاد المار امامه ان يراه، ولو لم تكن تبحث عن الاشارة التي تحدد وجوده، كانت مرت من امامه من دون ان تدرك ذلك.

لكن الآن وصلت إلى وقت اتخاذ القرار، هل تستدير امام الشارة وتعود ادراجها عبر الوادي، أو ان تأخذ الأمر ببساطة وتسير نحو فيلاريل؟

نظرت إلى المقعد بجانبها في السيارة لتجد جزء من المغلف يبدو من حقيبتها.

قال صوت ما بداخلها، انها تثير قصة ومشكلة من لا شيء، فربما ايزابيل قد زارت ببساطة القصر مرة، في الايام الماضية، قبل ان يصبح السيد دو روشوفور مريضاً، ولقد احتفظت بالبطاقة البريدية كذكرى ليوم سعيد، فكرة مريحة، مرت ببالها، هذا ما قالته لنفسها بقلق، وهي لاتزال تفكر كيف وصلت الميدالية الفضية إلى والدتها.

حسناً، هناك طريق واحدة لاكتشاف ذلك، وبتصميم اكيد ادارت المحرك.

وجدت ان الطريق كثيرة الانحرافات وضيقة، والجدول في قعر الوادي يمر تحت جسر ضيق، ما ان قطعته بالسيارة حتى اخذت تسير صعوداً عبر التلة المواجهة، كانت العرائش منتشرة على جوانب الطريق وفي البساتين، وكانت ترى العمال منتشرة بينهم، تتحرك ببطء حول الصفوف الخضراء.

ما ان استدارت خلف آخر منعطف، وجدت الاشجار امامها، كثيفة وعالية بحيث انها تخفي القصر كلياً، تصل الطريق إلى قوس كبير، حيث تنفتح بوابة كبيرة من امامه، على احدى الأعمدة الكبيرة، رأت لوحة كبيرة تحمل اسم القصر، مع الاشارة الخاصة بالبرج والوردة تحته.

تحتها مباشرة رأت لوحة اصغر كتب عليها بالتحديد مكان خاص.

حسناً، فكرت انها قد حذرت انها لن تستقبل بالترحاب، كانت الطريق التي توصل إلى القصر محفوفة بالاشجار،

ووجدت سابين ان كثرة الاشجار تخفي بريق أشعة الشمس، ما ان تابعت سيرها، حتى مر شيئاً ما امام سيارتها، مجبراً اياها على التوقف بسرعة، ربما كان ذلك ارنب، لكنها لم تستطع السيطرة على اعصابها، فأوقفت سيارتها على العشب.

اتكأت على مقود السيارة واضعة رأسها على ذراعيها، كانت متوترة من اوهامها اليوم... وتشعر وكأن اعصابها اسلاك مشدودة، فالمشكلة كانت ان ليس لديها فكرة عما ستقوله عندما تصل إلى القصر، أم انها ستقود ببساطة إلى الباب الأمامي لتعلن عن نفسها؟

كررت بنفسها: «يوم سعيد، سيداتي سادتي، انني ابنة ايزابيل ريكارد.»

فكرت لا شك انه أمر مؤثر، فهي سترى ارتفاع الحواجب، وتبادل النظرات المستغربة، بعدها سيرفعون اكتافهم مستهزئين، وان يكن؟ قبل ان يرشدوها بتهذيب إلى الباب، ربما كان عليها الاصغاء إلى الفتاة حين طلبت منها ان تتصل قبل وصولها.

فتحت باب السيارة وخرجت منها، عندما سمعت عربة أخرى تسير نحو التلة بسرعة، شعرت سابين بدافع قوي يدعوها للركض والاختباء بعدها اخذت نفساً عميقاً، وهي تقول لنفسها ان عليها عدم التصرف بغباء، وان تقف مكانها، فاذا كان القادم احد افراد العائلة، فعليها تقديم التفسير عن وجودها قريباً، لكنهم لن يأكلوها. اتكأت على مقدمة السيارة وانتظرت. وبسرعة قصوى، سيارة بيجو صغيرة دارت حول المنعطف وتوجهت نحوها. ابتسمت

سابين بتهذيب، وتطلعت مباشرة نحو واجهة السيارة، عندها وكان العالم قد تجمد وتوقف للحظة، رأت المرأة التي تجلس فوق مقعد القيادة، قد شحب وجهها، وتجمدت عيناها من الصدمة، وفتح فمها وكأنها تعرضت لأمر مرعب.

صرخت سابين من الخوف عندما رأت السيارة تسير بجنون، وتتخطى الطريق، بعدها سمعت صوت ارتطام عندما ضربت السيارة باحدى الشجرات وتوقفت، للحظة لم تتمكن سابين من التحرك، لقد تم الأمر بسرعة قصوى، حتى بالكاد تستطيع ان تصدق ما حدث، كل الذي تستطيع التفكير به هو الرعب الذي شاهدته على وجه المرأة عندما لمحتها.

فكرت باستغراب، لقد كنت اقف هناك، لم افعل شيئاً سبب لها ذلك، لا شيء. لكن سيارة البيجو هناك، والمرأة في داخلها مرتمية على المقود.

«آه، يا للهول.» استعادت قوتها بسرعة وركضت عبر الطريق، لتفتح باب السائق. فتحت الباب في الحال، وانحنت نحو المرأة، التي كانت قد غابت عن الوعي، لتخلصها من حزام الأمان. بدا واضحاً انها قد اصيبت برأسها خلال الاصطدام بسبب وجود اثار دماء على جبهتها.

نزعت سابين حزام الامان اخيراً، وحاولت جر المرأة عن السيارة، لحسن الحظ كانت المرأة ضعيفة لكن احتاجت سابين إلى كل قوتها لتتمكن من وضعها على العشب في الجهة المقابلة من الطريق.

لم تكن المرأة شابة، أيضاً كان شعرها المعقود إلى الوراء رمادي، وهناك تجاعيد واضحة حول انفها وفمها.

فكرت سابين انها شاحبة وكانها رأت شبحاً، اسرعت لتبحث عن جاكيت لها لتضعها تحت رأس المرأة كوسادة، ما ان فعلت ذلك، حتى تحركت شفاه المرأة عن انين خافت.

فكرت سابين، على الاقل لم تمت، وشعرت بالراحة على الفور، اقتربت من المرأة وقالت قرب اذنها وبسرعة: «لا تتحركي، سيدتي، سأذهب لأحضر مساعدة.»

قفزت بسرعة إلى سيارتها، امسكت المفتاح بيديها المرتجفتين، ولم تدر قبل عدة محاولات، انها كانت تبكي وهي تسير عبر التلة، بعد المنعطف الثاني، وجدت ان الطريق لها منعطفين، اخذت المنعطف اليمين، وبعد فترة قصيرة وجدت ان الطريق قد اصبحت منبسطة امامها، فضربت بقبضتها على المقود باحباط.

قالت وكانها تصرخ: «ان القصر يقع على رأس التلة، لا يعقل ان تكون هذه هي الطريق التي توصلني اليه.»

كانت تبحث عن مكان تتمكن منه العودة عندما ادركت فجأة ان هناك العديد من المباني امامها، لم تكن منازل، بل مخازن وساحات واسعة امامها، اخذت ترجو بصمت، آه ليكن هناك احد ما في الداخل، بينما كانت تسرع بسيارتها المسافة المتبقية امامها.

رأت ثلاثة رجال يقفون معاً ويتحدثون. وعلى صوت اقتراب سيارتها، استدارت رؤوسهم وكانها مشدودة بخيطان، كانت تعابير وجوههم تدل على الاستغراب والدهشة، ولو لم تكن متوترة ومتضايقة، لوجدت الأمر مضحكاً ومسلياً.

حاولت سابين ان تتوقف بسرعة، وقفزت بسرعة، قالت

بين تنهداتها: «ارجوكم، ارجوكم تعالوا معي، لقد حصل حادث ولقد تعرضت سيدة للأذى.»

احد الرجال اقترب مسرعاً منها، شعرت سابين بالارتباك من طوله وقوته، ومن غضبه القوي الذي اشعرها بالخوف، شد بيديه على ذراعها، مما جعلها تصرخ من الألم. صوت قاسٍ وبارد كالثلج قال: «من انت؟ وماذا تفعلين هنا؟»

«هذا لا يهم الآن، عليك مساعدتي، لقد جرحت امرأة.»

شتم بقوة، ووجدت سابين نفسها تدفع بقوة على المقعد الجانبي لسيارتها، رمى بنفسه وراء المقود، وادار السيارة من المرة الأولى، الماكر، فكرت سابين، انه يعلم بكل شيء.

«ارشديني إلى المكان.»

على الرغم من حرارة النهار القوية، شعرت سابين بأنها ترتجف وهي تقول: «لقد كنت بجانب الطريق، اقف على العشب... فقط اقف هناك، لقد رأتني، و... و... وركضت فجأة نحو الشجرة انا... انا لا اصدق ما رأيته.»

«لا؟» كان صوته قاسياً كالفولاذ، وعيناه مليئتين بالغضب وهو يتابع: «أنا اصدق.»

شهقت سابين عندما اقتربا من السيارة، فالضرر كان اكبر بكثير مما اعتقدته، اما السيدة فقد كانت تجلس على العشب، وتضع يدها بتعب على رأسها.

«كيف وصلت إلى هناك؟» سأل الرجل سابين بحدة جعلتها تشعر وكأن صوته سينزع لها فروة رأسها.

«لقد وضعتها هناك، اعتقدت ان عليّ عدم نقلها، لكنني كنت قلقة بشأن خزان الوقود... فقد تنفجر السيارة.» لكنه كان قد غادر السيارة، غير مهتم بتفسيرها المتلعثم، جثى

على احدى ركبتيه، بجانب المرأة العجوز، اصبح صوته لطيفاً فجأة وهو يقول: «سيدة هيلواز، لا تتحركي حاولي ان تبقي هادئة، لقد ذهب جاك ليحضر الاسعاف.»

«لا.» واشارت بيدها علامة الرفض وهي تتابع: «ليس هناك من حاجة، لقد ضربت رأسي، هذا كل شيء، لا ارغب بالذهاب إلى المستشفى، فقط خذني إلى البيت.»

«يجب ان تعالجي، قد يكون هناك أية مضاعفات.»

«لا، يجب الا يقلق غاستون عليّ.» اصبح صوتها اقوى، وحاسماً اكثر، كانت تحاول النهوض وهي تقول: «خذني إلى البيت، وأرسل وراء الدكتور ارنولد اذا كان هناك من حاجة.»

بينما كان يساعدها على النهوض، انتقلت عيناها منه إلى سابين، التي كانت تخرج من السيارة لتقدم المساعدة، غاب اللون ثانية عن وجهها، وبدا عليها كانها ستنهار من جديد.

قالت بصوت مرتعب وخافت: «ايزابيل!»

ارتجفت سابين، لكنها ابقت صوتها هادئاً وهي تجيب: «انك مخطئة سيدتي. ان والدتي قد توفيت.»

صرخت المرأة، وانحنت نحو الرجل الذي يمسك بها، تخفي وجهها بذراعه، ادار برأسه وحدق بسابين بغضب، كانت نظرة عرفتها على الفور، مع انها كانت المرأة الأولى التي تراها بالحقيقة، انه الفتى الصغير في الصورة، لكنه اصبح اطول الآن ولديه كتفين عريضين وجسم نحيف، وغضبه أيضاً كبر ونضج عشرين سنة على الاقل، احست بحقده المميت يصل إلى داخلها، كانت تعلم

انها لا تستحق كل هذا الغضب لكنها رأت نفسها تبتعد، من دون ان تشعر.

قال بلهجة غاضبة: «اصعدي إلى سيارتك، يا آنسة. الا يكفيك ما فعلته من الأذى اليوم؟ انك غير مقبولة هنا، اذهبي، ولا تعودي ثانية.»

كانت ترتجف وهي تمسك بباب السيارة كي لا تقع، محتقرة نفسها على ضعفها، قالت متلعثمة: «سأفعل ذلك... لكنني فقط لا اعتقد انني استطيع القيادة الآن.» رفعت رأسها، تحدق به، رافضة ان تسمح لنفسها ان تحتقر هكذا: «أم انك تريد التضحية بشجرة أخرى؟»

للحظة طويلة تلاقت عيناهما بغضب كلمعان السيوف، بعدها سمع صراخ وراءها، واستدارت لترى الرجلين اللذين كان يتكلم معهما برفقتهما امرأة ضعيفة تركض نحوهم.

جاك احد الرجلين ركض نحوه، وبعدها انتقل نحو سابين.

«خذها إلى أي مكان تريده، فقط دعها ترحل من هنا على الفور، هل فهمت؟ قبل ان تحدث اضرار أخرى.»

فكرت سابين، انه ليس من العدل والمنطق ان تبعد هكذا، لقد تعرضت لصدمة هي أيضاً، لقد خلصت تلك المرأة.. والتي هي على الأرجح عمته... من سيارتها المحطمة، وذهبت طلباً للمساعدة. هذا كثير كشكر لعملها ودليل واضح على الضيافة الفرنسية، فكرت وهي تنظر بغرابة إلى وجه جاك، الذي كان يعني ان عليها الصعود إلى سيارتها.

نظرت وراءها، ورأت تلك السيدة هيلواز تعتمد في ذهابها على ذراع المرأة النحيفة.

كان يتفحص اضرار سيارة البيجو، حتى انه لم ينظر إلى السيارة وهي تغادر.

جلست صامتة في مقعدها، وهي لاتزال ترتجف، لم تكن تتوقع ان يستقبلوها بأذرع مفتوحة، لكن ما رأته حقاً قد هزها في العمق، لا بد ان ايزابيل قد تركت وراءها حالة من المرارة والعذاب في هذا المكان حتى اخذ وجودها ردة الفعل هذه.

رأت ان الأمر كله لا يمكن فهمه، حاولت ان تتذكر ايزابيل بموضوعية... متسائلة كيف يمكن ان تقيمها لو انها التقت بها كغرباء، لكن كل الذي تتذكره هو حنان والدتها، لطفها وقدرتها على الحب. وبدأت تشعر بقليل من الغضب، فهي تستطيع ان تعذر روث راسيل بطريقة ما، فقد كانت تغار لديها شخصية مسيطرة وكانت ستكره أية امرأة سيتزوج منها شقيقها.

لكن لم يكن هناك أي دافع ممكن ان تجده للناس الذين قابلتهم اليوم، صوت صغير في داخلها، دعاها بقوة إلى قطع زيارتها والعودة إلى انكلترا، تاركة المقيمين في قصر لاتور مونشوزيت يموتون في حقدهم، لكن سيطر عليها تصميم قوي لتدافع عن ذكرى والدتها مهما كلفها الأمر.

قالت لنفسها، لن ادير رأسي لكلامهم واهرب، ولن اعامل وكانني... شخص منبوذ، قد يكونوا تمكنوا من ابعاد والدتي، لكنهم لن يتخلصوا مني بسهولة.

خفف جاك من سرعته عندما وصل قرب الجسر، سأل بهدوء عادي: «اين تريدين الذهاب يا آنسة؟ لا بد انك قد حجزت في مكان ما؟»

كانت قد لاحظت فندق ريفي جميل على طريقها في اسيجاك، وفكرت انها ستعود اليه، فتحت فمها لتقول ذلك، بعدها سمعت نفسها تقول، وهي مندهشة: «خذني إلى منزل يدعى ليه هيبو، من فضلك.»

أدار رأسه لينظر اليها، وقد نسي ان ينتبه للسيارة: «ليه هيبو! لكنه منزل فارغ.»

قالت ببرودة: «والذي اعتقد انه يعود لوالدتي، ايزابيل ريكارد.»

«لماذا، نعم، لكن...»

قاطعته بسرعة: «انني ارغب في استعماله، هل هو بعيد من هنا؟» علمت ان جاك عادة لديه وجه مرح ولطيف، كما تبدو عليه ملامح الجمال والذوق، لكنه الآن يبدو بوضوح انه غاضب وقلق.

«لا، ليس بعيداً، لكن السيد روهان لا يرغب...» تردد بدوره وهو يتابع: «من الأفضل يا آنسة ان اخذك إلى اقرب فندق مريح، حيث تجدين هناك غرفة مجهزة لك. سيكون من الحكمة ان تفعلي ذلك صدقيني.»

استطاعت ان تعلم من هو السيد روهان على الفور، فأصبح صوتها قاسياً فجأة: «وأنا افضل ان ابقى في منزل ليه هيبو. اذا كنت لا تستطيع ان توصلني إلى هناك، اوقف السيارة هنا، واستطيع ان اجد الطريق بنفسي.»

ظهر الضيق على وجهه: «الرئيس يا آنسة، طلب مني ان اقودك إلى أي مكان تريدينه، وهذا ما سأفعله بالتحديد.»

كان جاك يطلق على هذا السيد روهان الرئيس، لكن هذا

بالتأكيد لا يعني انه هو السيد دو روشوفور؟ فالفتاة التي تعمل في الفندق قالت لها انه لا يتمتع بصحة جيدة، وهذا الـ... روهان يبدو ان لديه القدرة على مهاجمة نمر بيديه العاريتين.

التفكير به... الطريقة التي نظر بها اليها، وكلامه... جعلها ترتجف من جديد، لكن هذه المرة من الغضب. نظرت إلى الخارج من نافذة السيارة، محاولة ان تسيطر على اعصابها.

في ظروف أخرى، كان يومها يعد يوماً سعيداً، مرتاحة من الاهتمام والتركيز على الطريق فيمكنها التمتع بالحقول الواسعة وبالاشجار التي تغطي سفوح التلال، كان يوجد عدد قليل من المنازل منتشرة هنا وهناك، بعضها يعود لعدة قرون مضت، وقد تغير لون حجارتها وقرميدها، البعض الآخر منازل حديثة البناء لكن جميعها بنيت على ذات الطراز من السطوح المنحدرة لتبقى شعاراً لتلك المنطقة، تذكرت انها قرأت عن تلك الميزة، كذلك عن المباني التي تقع في مقاطعة دوردونيو حيث كانت مسرحاً للخلاف بين الانكليز والدنماركيين.

الحدث الوحيد الذي كانت تراه ويدل على العمل والنشاط وجود المزارعين في الحقول، يقطعون الاعشاب، من المؤكد، انها لم تر أية عربة تمر هناك.

كان كل شيء يعمه الهدوء، وقد شعرت للمرة الأولى بالنعيم الذي يطغي على كل ما حوله.

فكرت بقوة، انني انتمي إلى هذا المكان، لن اسمح لهم ان يبعدوني عنه.

ابتعدا الآن عن الطريق الرئيسية وكانت الحقول منتشرة على جانبي الطريق، تغطيها الاعشاب الطويلة، وتطل من بينها فروع النباتات المليئة بالبراعم، مرا امام معمل حجري يبيع الالات الزراعية، وكراج صغير يحتوي على خزاني وقود.

استدار نحو طريق فرعية اشد ضيقاً، كان العشب يغطيها. رأت سابين، على بعد مسافة منها، مجموعة من المباني، ومن الواضح انها مزرعة، لكن إلى يسارها وجدت مساحة أرض قد قطعت اعشابها، كانت الأرض صغيرة وحمراء، ومنعزلة تماماً.

لم تكن بحاجة لسماع جاك يقول: «لقد وصلنا آنسة.» فلقد علمت بطريقة ما... ان هذا هو منزلها ليه هيبو.

يبدو البيت وكأنه يقف مدافعاً عن نفسه امام العالم اجمع، هذا ما فكرت به، عندما اقتربت اكثر، امام الطريق مباشرة كان هناك حائط طويل ينتهي عند مدخل له شكل دائري، ومبني على شكل برج، لديه سطح عالٍ، بدا لها البيت مؤلفاً من طابق واحد، امسكت حقيبتها، واطبقت يدها بشدة على تعليقة المفاتيح، ما ان أوقف جاك السيارة.

ترجلا من السيارة، نظر اليها، كان وجهه قاسياً لكن بدا الاهتمام واضحاً عليه وهو يقول: «تريدين مني ان ادخل معك... للتأكد من ان كل شيء جيد؟»

«شكراً لك، لكن لا.» فهي بحاجة لأن تكون بمفردها الآن. وتابعت: «كيف... كيف ستتمكن من العودة إلى القصر؟ هل تريدني ان اعطيك السيارة وتعيدها لي لاحقاً؟»

قال مؤكداً: «ليس هناك من حاجة، تبدو الطريق طويلة اذا

قطعت في السيارة، لكن كل ما عليّ ان اسير حوالي الكيلومتر عبر الحقول حتى اصل، وهي مسافة قصيرة.»

تابعت بعينيها ما كان يشير إليه وادركت على الفور انهما دارا حول التلة حيث يقع القصر، كما ان ليه هيبو في الحقيقة يقع تحت برج مونشوزيت، لكن من الجهة المقابلة. فكرت، كنت استطيع الوصول اليه من دون كل ما حدث.

قال جاك بازعاج: «سيرغب السيد روهان ان يعرف إلى اين ذهبت يا آنسة. وهو سينزعج عندما يعلم انك هنا، لكنني لا استطيع الكذب عليه.»

قالت سابين وهي تتظاهر بالشجاعة: «اذن اخبره الحقيقة.»

رفع جاك حاجبيه مستغرباً: «انه رجل رائع، يا آنسة كل من يعرفه سيقول لك ذلك... لكن عليه ان يكون قاسياً... ليتمكن من حمل كل ما عليه من واجبات، لم تكن الأمور سهلة عليه.. وهو لا يحب ان يعارضه احد.»

فكرت، انها علمت ذلك حتى قبل ان تقابله. هزت كتفيها، مجبرة نفسها على الابتسام: «سأجرب حظي.»

توقفت عن الكلام، بعدها قالت: «قبل ان تذهب، هل يمكنك ان ترشدني إلى مكان استطيع ان احضر منه ما احتاجه؟ من غير ان تشعر بعدم الوفاء للسيد روهان بالطبع.»

بدا عليه التردد لفترة، بعدها تنهد وقال: «هناك سوق صغير في فيلاريل، يا آنسة. اما الآن فإلى اللقاء... واتمنى لك الحظ السعيد.»

كان مقتنعاً انها تحتاج للكثير من الحظ، هذا ما فكرت به سابين عندما غادرها. نظرت إلى التلة، لكنها لم تشاهد

القصر من خلال ذلك المكان لأن الاشجار العالية تغطيه، لكنه كان هناك وكأنه يحدق بها من خلال ستائر كثيفة تحجبه عنها.

وهو أيضاً كان هناك، كانت تدرك ذلك وهي مندهشة، رجل ليس من الحكمة معارضته، وحيث غضبه قد اخافها. ذلك الرجل الذي للتو اعلنت تحديها له بشكل متعمد.

قالت ثانية: «سأجرب حظي.» وسارت نحو المدخل.

الفصل الثالث

لم تكن تعلم سابين ماذا ستشاهد. فهذا منزل امها، في الذهاية، لقد تركته ايزابيل منذ اكثر من اثنين وعشرين عاماً، ولم تعد من يومها.

كانت تتوقع انها ستبحث عن الطريق بين الاشواك والاعشاب البرية حتى تصل الى الباب الامامي. لكنها كان مخطئة جداً. ارتاحت عيناها لرؤية المساحة الامامية نظيفة. وتحيط بها احواض الزهور من جانبيها، ورأت بين المخزن والحائط شجرة ورد تتعالى بأزهارها التي تشبه ألسنة النار.

خلف المخزن، رأت الحديقة عبارة عن مرجة مليئة بالاشجار والنباتات التي تضيق مدخلها، كذلك رأت ان النوافذ قد اعيد طلاءها وكذلك المدخل الخشبي. رأت الغرف خالية من المفروشات، وهي تنظر إليها من خلال الالواح الزجاجية. مباشرة امام الباب رأت بركة صغيرة، في داخلها نافورة، لكن كان من الطبيعي، ان لا ماء فيها.

مرة ثانية شعرت سابين بذلك الاحساس الغريب بأن الزمن قد توقف وتراجع إلى الوراء.

قالت توبخ نفسها، انها تتخيل الامور. فلا بد ان هناك من يهتم بالحديقة ويجعلها تحت اشرافه هذا كل ما في الامر.

حاولت ان تفتح الباب بالمفتاح. ولدهشتها، ادار المفتاح بالقفل بسهولة، ودخلت على الفور. وجدت نفسها في قاعة واسعة، تنتهي بباب يفتح مباشرة على المطبخ، وإلى جانب القاعة باب خشبي، يوصل الى ما تبقى من المنزل.

بدأت بذلك الباب اولاً. دخلت الى غرفة تحيط بها النوافذ من كل جوانبها. فتحت النوافذ، لتسمح للنور والهواء ان يدخل اليها. كانت الارض مغطاة بطبقة من الفلين الغامق اللون. لكنه لم يكن هناك اي نوع من المفروشات ما عدا موقد كبير يقف في احدى الزوايا.

كان هناك بابين في الحائط البعيد، فتحت الباب الاول، فوجدت خزانة خالية، لكن الباب الثاني كان يحتوي على عدد كبير من الثياب القديمة وهيكل سرير واسع من الخشب، محفور بشكل بديع.

حدقت سابين حولها. كانت الرطوبة تملأ ارجاء البيت، بالطبع وكان هناك طبقة رقيقة من الغبار في كل مكان، لكن لم يكن هناك شيء من الركام والقذارة التي كانت تخشاها.

ذهبت الى المطبخ فوجدت طاولة كبيرة في وسطه، وخزانة واسعة تغطي احد جدرانه كما شاهدت فرن كهربائي جديد مع خزانتين على جانبيه. اما الباب المواجه له فيؤدي الى الحديقة الخلفية.

باب آخر إلى جهة اليمين، ينتهي بممر يوصل الى الحمام وغرفة اخرى واسعة، ربما تكون غرفة الطعام. هناك وجدت درج قصير يوصل الى غرفة تحيط بها النوافذ

من كل جهة، وادركت سابين انها بلا شك تبدو من البرج الذي رأته على طريقها.

فكرت وهي تنزل بحذر، البرج والوردة، يبدو ان لا مهرب لي منهما.

سارت ببطء وهي تعود نحو المطبخ. فقط كان هناك صوتين يقلقان الصمت والهدوء صوت الفراشات على النافذة، وصوت سقوط نقاط الماء في المطبخ.

حسناً، هذا يعني ان الماء ما زالت تصل الى المنزل. حاولت ان تضيء الانوار بجانب الباب، واكتشفت ان الكهرباء موصولة ايضاً. فكرت ان الأمر غريب إذ ان المنزل خالٍ. لكن هذا يجعله جاهز للسكن، وهذا ما يريحها. كانت ستشعر بالخيبة لو اجبرت على العودة الى أي فندق الآن. فلقد احضرت معها كيساً للنوم، وبذلك يمكنها ان تتدبر الامر.

افرغت حمولة السيارة وحملت الاغراض الى الداخل، وضعتها جميعاً في الصالون. بعدها امسكت بالخريطة، واشارت بخط واضح على الطريق الى فيلاريل، وجلست على الارض لتكتب قائمة لتشتريها.

كانت بلدة فيلاريل رائعة، ومليئة بالناس، بشوراعها الضيقة وسوقها التجاري الاثري. لكن للتجول والاكتشاف عليها الانتظار الان، فهناك امور ملحة اولاً. اكتشفت، ان السوبر ماركت الذي ذكره جاك يقع في ضاحية البلدة.

كانت مواد التنظيف اول ما تحتاج اليها، بعدها العديد من الاواني المنزلية لتتمكن من استعمال المنزل. شعرت بالحيرة وهي تفكر، ان كانت ستستقبل أو ستستضيف احداً.

بعد ذلك، يمكنها التسلية بعض الوقت، تجولت في الممرات، لتملأ عربتها بالجبن، واللحم المجفف، وعندما اقتربت من براد اللحوم وجدت ان تقطيع اللحم هنا يختلف كثيراً عما اعتادت عليه.

اختارت ما تريده، وتوجهت نحو مكان الخضار لتشتري نصف كيلو من البندورة الحمراء الشهية، كذلك دراق وليمون وسلة من الفراولة. واخيراً اختارت رغيفاً طويلاً من الخبز، وعدداً من قناني الماء ايضاً.

وجدت ان طريق العودة الى منزلها اصعب بكثير مما كانت تعتقده، ولقد اخطأت اكثر من مرة في اختيار الطريق الصحيح حتى كادت ان تصرخ من الفرح عندما مرت بجانب الطريق الذي يقود الى المزرعة.

ادركت وهي توقف سيارتها، ان المنزل لم يبد لها منعزلاً كما حكمت عليه اولاً. فأشعة الشمس ترسل الدفء والنور إلى داخل المنزل، كذلك الجدران الخارجية لم تعد كحواجز، لكن كوعد واضح من الآمان. فكرت، ها قد وصلت الى بيتي.

استغرق الأمر عدة رحلات لتتمكن من نقل كل الحاجات التي اشترتها. وضعت كل شيء في خزانة المطبخ، وعادت كي تقفل سيارتها. فكرت، أنه ليس هناك من حاجة لذلك، لكن لا يستطيع المرء التخلص من عاداته بسهولة.

عندها رأته.

في الحقيقة، كان من المستحيل عليها ان لا تلاحظه. كان يقف هناك، واضعاً يديه على خاصرته. توقفت سابين على الفور، وهي تشد على قبضتيها بقوة.

قالت بقوة: «ماذا تريد؟»

«هذا ما اتيت لاسألك عنه.» تقدم منها، وحاولت سابين جاهدة ان تخفي توترها.

قالت بسرعة: «هذا يكفي.»

رفع حاجبيه ساخراً: «هل أسبب لك التوتر؟»

«انك تثير غضبي.»

قال: «وأنت ايضاً، تثيرين فضولي. اخبريني يا آنسة ريكارد، ما الذي دفعك للمجيء الى هنا؟»

قالت بضيق: «اسمي راسيل، واسبابي هي شؤوني الخاصة.»

كرر ببطء: «راسيل، اذاً ايزابيل وجدت احمق آخر ليتزوج منها في انكلترا. لغتك الفرنسية ممتازة، لكن انكلترا هي المكان الذي اتيت منه اليس كذلك؟»

قالت معترضة، وهي تشعر بالغضب لما سمعته عن أمها: «لا اشعر بالخجل من جراء ذلك، بكل الاحوال، لقد اصبحنا جميعاً اوروبيين الآن... أليس كذلك؟»

قال بلهجة ساخرة: «وهل هذا هو سبب مجيئك لأسباب عالمية؟ استميحك العذر لقد اعتقدت ان لديك اسباباً شخصية.»

هزت سابين كتفيها: «اعترف انني كنت فضولية ايضاً.»

«وهل اشبعت هذا الاحساس؟»

قالت بحدة: «لا ولا بأي شكل من الاشكال.»

قال بهدوء: «يؤسفني سماع ذلك.» توقف قليلاً عن الكلام بعدها قال: «كم تريدين، يا آنسة، لتتخلي عن هذا الفضول برمته؟»

كانت تشعر بحرارة كل فترة بعد الظهر تلفها وتثقل عليها، لكن فجأة اصبحت باردة جداً. قالت متلعثمة: «انا لم افهم.»

«الأمر بسيط جداً. اريدك ان ترحلي ومن الافضل اليوم، أو في الغد على الأكثر وانني مستعد ان ادفع أي مبلغ تطلبينه ضمن المنطق والمعقول.»

ضحكت ضحكة مفتعلة: «هكذا اذاً؟ لا بد انك مجنون؟»

«انني سليم العقل جداً، اؤكد لك ذلك. واتمنى ان تأخذي ما اعرضه عليك بمنتهى الجدية.»

قالت: «انه لا يستحق التفكير بالأمر، انه اهانة.»

نظر إليها بحزن: «أنت لم تعرفي بعد المبلغ الذي سادفعه لك. وجودك هنا، يا آنسة، أمر لا يحتمل ومن المؤكد انك قد لاحظت ذلك.»

قالت سابين بشجاعة: «لا ارى شيئاً من هذا القبيل، وساغادر عندما اصبح جاهزة للرحيل.» هزت كتفيها، متظاهرة بعدم المبالاة: «بكل الاحوال، قد اقرر البقاء انني اعمل بمهنة حرة استطيع العمل في أي مكان خاصة الآن.»

قال بقسوة: «إذا كان هذا مخطط لترفعي السعر، ستصابين بخيبة أمل، فعلى عكس ما قد تكون اخبرتك به والدتك، لأنه لم يعد بامكانك اخذ المال من عائلة دوروشوفور مثل الماء.»

انكرت بحرارة: «لم تذكر امي شيئاً عن عائلتك، وبعد ان قابلت بعضهم اليوم، لا استطيع ان الومها بصدق. فأنا اريد أن امحيكم من ذاكرتي وانسى كل شيء عنكم، ايضاً.»

توقفت قبل ان تتابع: «أما، بالنسبة للعرض الذي تقدمه، لن ألمس قرشاً واحداً من مالك العفن.»

هز كتفيه: «إذاً علي ان احاول بوسائل اخرى.»

حدقت به: «ماذا تعتقد انك ستفعل؟ تطردني من بيت أمي؟ لن اسمح لك بذلك.»

قال بنعومة: «ربما لا، بالوسائل القانونية، لكن بالنسبة للامور الاخلاقية تختلف الامور. تركت والدتك، يا آنسة، ذيولاً مأساوية خلفها عندما غادرتنا. لقد كنت حينها صبياً في العاشرة، لكنها تركت بصماتها المأساوية علي ايضاً. ولن اسمح لهذا الامر ان يتكرر معك الآن.»

قالت بغضب: «يمكنك ان تفعل ما تريده لكنني لن اسمع المزيد من كلامك المشين عن أمي. اني احبها، وعندما توفيت شعرت بأن كل نور في الارض قد اندثر.»

للحظة بقي صامتاً، بعدها قال ببرودة: «لست الوحيدة التي شعرت بهذا الاحساس، زوج أمي، الذي احبه كثيراً ايضاً، قد اصيب بانهيار كامل عندما غادرت... عندما تخلت عنه بطريقة لا تصدق.» اصبح وجهه غامضاً وهو يتابع: «ربما لم تخبرك شيئاً عن ذلك ايضاً؟ لا، اعتقدت ذلك.» هز رأسه وقال: «اذا لم تتكلم عنا ابداً، يا آنسة صدقيني، كان ذلك لاحساسها بالخجل والعار.»

ردت بغضب: «لقد سمعت ما فيه الكفاية. إذا أمي هربت بعيداً، فلا بد ان لديها سبب كافٍ ومهم لذلك.» تنهدت بعمق: «لقد امرتني للخروج من أرضك منذ عدة ساعات والان اريد ان تذهب، وان لا تعود ثانية. أنا لست هنا للبيع، ليس الآن، وابداً.»

تقدم خطوة نحوها، فانحنت بسرعة لتلتقط حجراً من حوض الزهور بجانبها.

ارتفع صوتها: «اذهب. قلت لك اخرج من هنا.»

نظر إليها نظرة طويلة من رأسها حتى قدميها، بعدها استدار وسار نحو المدخل مبتعداً.

غادرها التوتر الذي كانت تشعر به، فاتكأت بضعف على عمود الباب. ادركت انها لا تزال تلتقط بالحجر، رمته وهي تصرخ برعب. ماذا فكرت انها ستفعل به... سترميه به؟

لا يمكن ان تفعل ذلك. فهي لم تكن يوماً عنيفة وهستيرية لم تتصرف مرة بحياتها كما فعلت، وهي لا تستطيع أن تفهم أو تعلل ردة فعلها.

لم تكن غبية كي لا تدرك انها جذابة وجميلة، وهي عادة تعاني بعض الصعوبات للحفاظ على علاقات محددة ان كان في عملها أو حياتها الاجتماعية. كان لديها اصدقاء لكنها لم تصل الى درجة الارتباط بأحد.

عادة كانت تقابل الناس باحترام ولا تحاول مرة ان تضع الاحكام المسبقة عليهم. متمنية ان يقابلوها بالمثل.

لكن هذا الرجل، هذا المخلوق المتكبر دو روشوفور عاملها كما لم يفعل ذلك احداً من قبل. لم يكن بسبب الاشياء المخيفة التي قالها عن ايزابيل، مع ان ما قاله يكفي. لكن بسبب تصرفه غير المبرر تجاهها.

بدا وكأنه يكرهها. لمجرد رؤيتها، مع انه لا يعلم شيئاً عنها، ما عدا انها تشبه إلى حد كبير ايزابيل. وفي مثل هذه الحالات العدائية يبدو انه قد حكم عليها بالرفض المطلق لقد ظن ان لديها دافع شخصي لقدومها الى هنا، لكن لم يسمح

لها ان تدافع عن نفسها. فالتصرف المشين حيالها مثل قدرتها على التصرف.

اسوأ ما يمكن ان تحاكم امها عليه انها قد هربت. وهل هناك اي عجب لهروبها؟ وإن كانت قد واجهت كل ذلك التهديد والهجوم عليها من الجيل السابق من عائلة دو روشوفور؟ فكرت سابين بقلق، وذلك المتوحش المتعالي قال ان امها قد استغلت العائلة للحصول على المال الوفير، مع ان، بالنسبة الى روث راسيل، كانت ايزابيل حاملاً وفقيرة جداً، مجبرة على العمل كحاضنة عندما تعرف عليها هاغ. ان القصتين متناقضتان جداً.

نظرت عالياً الى السماء الصافية. قالت بصوت عالٍ: «سأقوم على كشف ما كان مخفياً كل تلك السنوات، كما وانني لن اغادر قبل أن اعرف كل الحقيقة. سأعمل على إعادة اعتبار اسم أمي، وذلك السيد روهان العظيم سيجير على الاعتذار عن كل كلمة مهينة قالها.»

عادت إلى داخل البيت بعد ان اغلقت الباب بقوة.

شعرت انها متوترة جداً كي تحضر طبقاً من الدجاج كعشاء لها، لذلك حضرت عشاء بسيطاً من اللحم المجفف، ومعه بيض مقلي وفواكه.

وجدت وهي تبحث في المخزن كرسيين واسعين، بحالة يمكن استعمالهما. حملتهما الى الشرفة امام المنزل، وجلست راغبة في ان تقرأ في كتاب احضرته معها حتى غابت الشمس وراء الافق.

لكن التركيز على ما كانت تقرأه كان شبه مستحيل. فكل مرة تسمع ادق الاصوات، تجد نفسها تحدق بالمدخل.

قالت ناهرة نفسها، توقفي عن التصرف بحماقة، منزعجة من قلقها. لن يعود ثانية، لن يجروء على القيام بذلك.

توقفت مرتبكة، هل حقاً تصدق ذلك؟

انه يبدو من الرجال الذين يملكون القدرة على القيام بأي شيء والذين يعيشون حياتهم كما يريدونها. فكرت ان مظهره لا يعجبها، حاولت ان تقيمه من جديد. بعض النساء قد تجدن انه جذاب، لكنها لا تعجب بالرجل الاسمر والذي يغطي الشعر الاسود جبهته. هذا بجانب ان انفه طويل، وعيناه واسعتان تغطيهما اهداب طويلة، وذقنه متعالي شعرت بالتوتر لمجرد اعادة صورته في مخيلتها.

تساءلت، هل يملك القدرة على الحب بقوة كما يكره؟ عندها توقفت عن التفكير به، وهي تلوم نفسها. فهذا أمر لا تريد أن تعرفه.

اعترفت على مضض لكن ليس من السهل نسيانه بسرعة. كما انه سيد لما يحيط به، ويعمل على طريقته الخاصة. حسناً، لم يصل إلى ما يريده هذه المرة لن يستطيع شراءها ولن تسمح له أن يجبرها على المغادرة.

ادركت انها تعيد كل كلمة قالاها لبعضهما مراراً وتكراراً في فكرها. تلك الكلمات القليلة عن زوج أمه قد شغلت بالها، وتمنت لو انها وصلت الى معلومات أكثر. فكرت بحيرة، ربما كان من الافضل لها ان لا تصرفه بسرعة.

فالقليل الذي تفوه به يعني ان زوج أمه كان مغرماً جداً بايزابيل.وإذا كان الامر هكذا، فلا بد ان يكون والد طفلها.

فكرت سابين، أبي، وهذا يعني ان روهان يمت بصلة من القرابة لي، بالعرف والقانون ان لم يكن في الدم.

مجرد التفكير بذلك جعلها ترتجف. لكن الواقع انه لم يذكر أي كلمة عن وضع ايزابيل، مما جعلها تتساءل هل اخفت أمر حملها عن كل عائلة دو روشوفور. لكن لماذا تفعل ذلك؟ فمما لا شك فيه انها كانت بحاجة للمساعدة والاهتمام ومن هناك غير والد طفلها لتطلب منه ذلك؟

لم يكن هناك منطق في كل ما تفكر به، لكنها كانت متعبة جداً ومشتتة الافكار لتتمكن من التحليل اكثر. عليها الحصول على بعض الراحة، ومواجهة الامر كله عند الصباح.

كان كيس النوم يبدو كخرقة في وسط السرير الواسع. غيرت ثيابها، واندست بسرعة في فراشها، وهي ما زالت قلقة ومتوترة.

بقيت افكارها تدور حول قصر لا تورمونشوزيت، وسيده لا بد انهم وراء تلك الاشجار الكثيفة، لكنها شعرت وكأنهم بجانبها يراقبونها.

فكرت بحزن، ان صورة البطاقة البريدية مظللة. انها تبدو كقصة جميلة لقصر حالم لكن في الواقع انه قلعة اللحية الزرقاء.

وعندما تمكنت اخيراً من النوم وجدت نفسها في ذلك القصر، تركض إلى ما لا نهاية بين غرفه، تبحث عن شيء لا يمكنها الوصول إليه. بينما خلفها وبصمت مخيف رجل مقنع يحدق بها وينتظر.

استيقظت وهي تشعر بصداع أليم، لكن كل الكوابيس

تؤثر عليها هكذا، هذا ما فكرت به وهي تستحم، وترتدي بنطلوناً مع قميص.

قطعت جزء من الرغيف، وغطته بطبقة من مربى الفراولة، حملته مع كوب من القهوة، الى الشرفة. كان الهواء بارداً والاعشاب مثقلة بقطرات الندى، رأت على مسافة بعيدة منها ضباب يغطي الحقول القريبة. فكرت ان كل ما حولها يعد بيوم جميل. شعرت بأن الفرح يسيطر عليها وانها لن تسمح لحلم مزعج ان يفسد عليها يومها.

رأت سحلية بنية اللون تقف على الحائط على مسافة قريبة منها، قبل أن تختفي بهدوء.

قالت سابين وهي تراقبها تختفي بين الشقوق: «حسناً صباح سعيد لك أيضاً.» فكرت، انها ليست بمفردها بكل الأحوال حتى الآن، لقد تمكنت من القيام بالأعمال الأساسية للإقامة في المنزل لليلة واحدة. لكن اليوم سيختلف الأمر. اليوم ستعمل على تنظيف المنزل بطريقة جدية، بحيث تحوله الى بيتها الخاص.

إذا كانت ترغب بالبقاء لمدة اطول، فإنها ستحتاج الى بعض المفروشات على الاقل. فكرت، ان عليها احضار خزانة من الجوارير، مثلاً كرسي مريح، مقعد وثير لصالون ووسائد مناسبة فهي غير معتادة على النوم بلا وسادة.

ما ان استدارت حتى تعود إلى الداخل، حتى رأت شيئاً ما ابيض اللون ملقى على الارض في القاعة. ادركت انه مغلف ما ان انحنت حتى تلتقطه. لم تستطع ان تتذكر ان هي رأته عند الصباح. فلقد داست عليه وهي تخرج. ذلك ان اثار خطوتها واضحة على ورقته السميكة.

فكرت، لا بد انه وجد هنا خطأ بينما كانت تقلبه بين يديها، وهي تلاحظ ان لا شيء مميز فيه حتى ولا طابع بريدي، وهذا يعني انه سلم باليد اما البارحة بعد ان نامت أو عند الصباح الباكر.

فكرت، لا اريد حقاً ان افتحه. في ذات الوقت، علمت ان عليها القيام بذلك.

كان يحتوي على ورقة وحيدة في داخله. الكلام مختصر وعادي. تقدم السيدة دو روشوفور تحياتها الى الآنسة راسيل، ويسعدها ان تتفضل بزياتها في القصر عند الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم.

فكرت سابين بقلق، استدعاء ملكي، ليس أكثر. يبدو ان السيدة هيلواز قد تخلصت من آثار الصدمة والحادث ايضاً، وقد استعادت قوتها للصراع مجدداً.

كما ان لديها كل الصباح وجزء من فترة بعد الظهر لتقرر ان كانت ستلبي الدعوة. في تلك اللحظة شعرت ان لا رغبة لديها للقيام بأي شيء.

قالت، سأفكر بالأمر بينما اعمل، وضعت الرسالة في جيب بنطالها وبدأت عملها من المطبخ. لم تغسل البارحة الا الخزانة التي احتاجتها لتضع بها ما اشترته. هذه المرة، عملت على تنظيف كل جارور وكل رف حتى كل مساحة من المطبخ، اخيراً نظفت الأرض حتى اصبحت تلمع كالزجاج. فكرت وهي تبدأ بتنظيف الغبار والاوساخ من الصالون، ان الاحساس بالغضب والألم يزيد من قوة وعزم المرء.

توقفت عن متابعة العمل عند الظهر لتتناول بعض الخبز

والجبن، وكوباً من العصير، بعدها تابعت عملها بذات القوة والحماس.

كانت منغمسة في تنظيف حديد النوافذ عندما سمعت صوت محرك سيارة. توترت كل اعصابها وشعرت بغصة في حلقها، لكنها تابعت عملها بتركيز واهتمام. لن تنظر... لن تنظر حولها، هذا ما قررته.

سمعت صوت فتاة ناعم يقول من ورائها: «آنسة راسيل؟»

استدارت سابين بسرعة مندهشة. كانت القادمة تكاد أن تكون بعمرها، كستنائية الشعر وجميلة كانت ابتسامتها عريضة، وقد مدت يدها لتصافحها، وهذا يعني ان ذلك نوع من اللطف، هذا ما فكرت به سابين وهي تمسح يدها بسرعة بثيابها.

قالت بحيرة: «هل لي أن اتعرف عليك؟»

ضحكت الفتاة وهي تهز برأسها: «أعيش في المزرعة مع عمتي، وهكذا نحن جيران. اسمي ماري كريستين لافو.»

فكرت سابين بفرح، إذاً هذه دعوة اجتماعية: «آه، هل استطيع ان اقدم لك شيئاً قهوة... شاي؟»

قالت ماري كريستين: «سيسبب ذلك سعادة لي في أي وقت آخر، لكن لسوء الحظ يا آنسة، لقد اتيت لأقلك الى موعدك في القصر.» توقفت قليلاً قبل ان تتابع: «من بين اعمالي الكثيرة، اعمل سكرتيرة للسيدة دو روشوفور. اتمنى، ان تكوني قد وجدت الرسالة التي تركتها لك عند الصباح.»

قالت وقد شعرت بخيبة أمل: «آه، نعم لقد وجدتها، لكنني لست متأكدة ان كنت ارغب بتنفيذ طلب السيدة.»

عقدت ماري كريستين حاجبيها: «هل هناك مشكلة ما؟»

ردت سابين بسرعة: «اخبريني أنت، آخر مرة رأيت السيدة هيلواز، كانت فاقدة الوعي.»

تجهم وجه ماري كريستين للمرة الثانية: «آه، الحادث، حسناً لقد استعادت صحتها اليوم. فالسيدة اقوى بكثير مما تبدو عليه.»

يجب أن تكون كذلك، هذا ما فكرت به سابين، لكنها قالت: «هل تعلمين لما ترغب برؤيتي؟»

هزت ماري كريستين كتفيها وقالت: «انني فقط مجرد سكرتيرة في القصر والسيدة لا تعتبرني اكثر من هذا. ربما تريد ان تشكرك على مساعدتك لها البارحة، بعد الحادث.»

ابتسمت لها مشجعة وهي تتابع: «لما لا تأتين معي، وتعرفين؟» توقفت عن الكلام لتقترح بدبلوماسية: «ربما ترغبين في تبديل ثيابك اولاً؟»

أجابت سابين بخفة: «وربما لا، انني اشعر بالراحة والبرودة هكذا وهذا الموعد ليس فكرتي.»

نظرت ماري كريستين بقلق: «هذا هو السبب المحدد الذي اتيت لأجله وسأتعرض لورطة كبيرة ان عدت بمفردي. فالسيدة ترغب في اطاعة ما تطلبه.»

تمتمت سابين: «ليست هي الوحيدة بذلك.»

«عذراً.»

قالت سابين بعدم اكتراث: «هذا لا يهم، حسناً إذاً سأذهب. لكن اتمنى ألا تتوقع السيدة رؤيتي معتمرة قبعة وواضعة قفازين في يدي.»

بدلت ثيابها لترتدي احد الفساتين القليلة العدد التي

احضرتها معها. ثوب قطني بسيط لديه ازرار من الامام، وكميه قصيرين وتنورته طويلة وواسعة.

بعد ذلك، وباحساس لم تستطع ان تفهمه، امسكت بالميدالية من مكان خاص في حقيبتها ووضعت السلسلة حول عنقها.

فكرت، انها للحماية، قد تحتاجه.

تنهدت بعمق وخرجت إلى موعدها.

الفصل الرابع

ما ان عادت سابين من غرفة النوم، حتى وجدت ماري كريستين تقف في الصالون الفارغ تحدق حولها.

قالت سابين ببساطة: «لم استطع تامين أية مفروشات حتى الآن، اتمنى ان اتمكن من شرائهم غداً.»

قالت ماري كريستين معترضة: «لكن ليس هناك من حاجة. فهناك الكثير من المفروشات تعود إلى هذا البيت، اذ قررت عمتي بعد وفاة السيد فابيان، ارسالها إلى المخزن، لأن البيت المهجور يجذب اللصوص، انت تعلمين ذلك، انها في باريس من اجل عمل ما لمدة يومين فقط، لكنها ستعود هذا المساء، وبذلك يمكنك التكلم معها عن الموضوع.»

لم تعد سابين تفهم شيئاً، سألت وهما تخرجان إلى السيارة: «من هو السيد فابيان؟»

بدا الحزن على وجه ماري كريستين الجميل: «لقد كان شقيق السيددو روشوفور التوأم، لكن اصغر منه بنصف ساعة، ومختلف.. في المظهر، وفي الحقيقة.. بكل شيء، لقد كان متعهداً للكرمة عن حق.» تنهدت قبل ان تتابع: «كان يحب الأرض، ويفهم بالكروم، بينما السيد غاستون يشغل نفسه بأمور أخرى.»

لقد فهمت ذلك.» ترددت للحظة قبل ان تتابع: «اذاً اين هو موقع السيد روهان في ذلك؟»

اخذت ماري كريستين تشرح لها: «تزوج السيد فابيان

من السيدة سانت ايف، ولقد كانت أرملة ولديها صبي صغير، وعندما كانت تنتظر مولودها الثاني، ساءت صحتها جداً، فهي لم تكن بصحة جيدة ابداً... وماتت هي والطفل، كان ذلك حدث مروع... مأساة حقيقية، بقي السيد روهان مع السيد فابيان ولقد اعنى به كأنه ابنه الحقيقي.. على الأقل في البداية.»

حدقت سابين بذهول امامها وهي تفكر، فابيان دو روشوفور، زوج أم روهان، هو من احب والدتها وفقدها، لقد اصبحت تعرف اسمه، وان لن تعرف وجهه يوماً.

الآن اصبحت اعرف اسم والدي الحقيقي، لكن الاحساس الغريب الذي احست به للحظة رافقه حزن عميق، لأن حدث ذلك متأخراً، لقد ضاع هو أيضاً.

سألت بحزن: «متى توفي السيد فابيان؟ كم له من الوقت؟»

قالت ماري كريستين مفكرة: «لا بد انه مضى اكثر من سنة ونصف... أو ربما سنتين، الوقت يمر بسرعة.»

«لماذا لم يفرغ البيت من مفروشاته لذلك الوقت؟»

«لأنه كان يعيش هناك.»

سألت سابين، وقلبها يرتجف: «مع ان البيت يعود لوالدتي؟»

حاولت ان تبدو عادية وهي تتابع: «اعتقد انه كان مستأجراً فيه.»

بدا الانزعاج واضحاً على ماري كريستين: «ربما، تستطيع عمتي ان توضح لك الأمور اكثر، هذه الأمور لا تعنيني، كما وانه مضى وقت طويل على ذلك.»

قالت سابين، بعد فترة قصيرة: «اني آسفة لكثرة تساؤلاتي، فانا لا اعرف شيئاً غير ان والدتي قد عاشت هنا لفترة ما.»

عضت ماري كريستين على شفتها بينما كانت تستدير بسيارتها لتصل إلى مدخل القصر: «حسناً، اتمنى لو استطيع المساعدة لكن كل الذي سمعته هو اقاويل... وقصص مختلفة.» اضافت بحزم: «ليس من العدل اعادتها.»

قالت سابين بأسى: «اعتقد ذلك.» توقفت عن الكلام قليلاً، لتتابع في منحى آخر: «من غير السيد والسيدة دو روشوفور، يعيش في القصر إذن؟»

«حسناً، روهان يعيش هناك... في الوقت الحاضر، وانطوانيت، بالطبع.»

أجابت محاولة ان تتفهم ذلك: «هي... هل هي زوجة روهان؟»

ضحكت ماري كريستين: «ليس بعد، لكن من المتوقع ذلك، سيكون زواجاً مناسباً، انها ابنة شقيق السيدة هيلواز، كما وانها جميلة جداً، لقد توفي والداها بحادث سيارة عندما كانت صغيرة، ولقد ربيت في القصر، وكأنها ابنة لتلك العائلة. فالسيد دو روشوفور وزوجته لم ينجبا أولاداً.»

لم تستطع سابين الا ان تجيب: «فهمت.»

لن تنسى ابداً نظرتها الأولى للقصر، انه اصغر بكثير مما تخيلت، مجرد قصر في الريف، اضيف اليه مبانٍ عبر العصور، كانت حجاره تلمع تحت نور الشمس كحبة المشمش الطازجة، كذلك قلاعه وابراجه ذات السطوح الحادة تضفي عليه سحراً مميزاً.

توقعت سابين ان تدخل من المبنى الذي يتم فيه عقد الصفقات التجارية، لكن ماري كريستين قادتها عبر المدخل الرئيسي، وهي تشعر بروح عالية لأنها نفذت مهمتها، وربما سرورها يعود لتخلصها من اسئلة سابين المحرجة.

علمت ان اجزاء كبيرة من القصر قد اغلقت لاسباب اقتصادية، كما ان السيدة دو روشوفور وانطوانيت تقطنان في الطابق الأول، بينما زوجها يعيش في القسم الأكبر من الطابق الأرضي، ولم تقدم لها أية معلومات عن موقع غرفة روهان سانت إيف.

احدى الغرف الرئيسية، والاكثر جمالاً هي القاعة الكبرى، والتي تستعمل لعقد الصفقات التجارية هذه الأيام، كما ان كل الحفلات والسهرات تقام فيها.

سألت سابين: «هل استطيع رؤيتها؟»

قالت ماري كريستين ببساطة: «ربما، يوم آخر، علينا ألا نطيل انتظار السيدة.»

وجدت بعد الاشعاع والنور المميز للجدران، مدخل القصر مخيباً للآمال بصراحة، كان المدخل مع كبره واتساعه، محاطاً بخشب داكن اللون، والصور الشخصية للأسلاف تحدق بها بازدراء بينما كانت تصعد الدرج.

للوصول إلى جناح السيدة دو روشوفور، كان عليهما المرور امام عدد كبير من الغرف، ومعظمهم مقفل مما يحجز اشعة الشمس بعيداً، بدت المفروشات ضخمة جداً، وكأنها لا تستعمل ابداً، مما عدا المرور امامها إلى اماكن أخرى، لم تستطع سابين ان تتخيل ان هناك من يجلس على

تلك الكراسي، أو ان يرمي بكتاب أو جريدة على احدى الطاولات.

فكرت وهي ترتجف فجأة، هذا المكان كثير الممرات والأزقة غير النافذة، ومع ان باباً آخر فتح امامها تماماً كحلم البارحة، كان لديها احساس انها لو نظرت من وراء كتفيها لوجدت روهان سانت ايف يحدق بها من وراء الظلال... رفعت يدها وتلمست الميدالية.

وصلتا إلى ممر، مفروش بسجاد سميك تركي احمر.

قالت ماري كريستين بصوت منخفض: «هذا القسم هو جناح السيدة، لقد فرش السجاد في كل مكان، لأنها تقول ان وقع اقدام الخدم على البلاط يسبب لها صداع.» اغمضت عينيها للحظة، ووقفت بثبات بعدها دقت على الباب الواسع في نهاية الممر باحترام.

صمع صوت واضح، قوي ومتسلط، لا يمت بصلة إلى ضعف البارحة: «ادخل.»

ابتسمت ماري كريستين بصداقة إلى سابين، وهمست: «تشجعي، لقد اصبحت بمفردك الآن.» ودفعتها بلطف ولكن بحزم داخل الغرفة.

كانت الجهة المقابلة في الغرفة قد بنيت بمستوى أعلى من البقية، ويمكن الوصول اليها بدرجة واحدة، وهناك بجانب النافذة، كرسي واسع ومريح، وراءه ستائر حريرية، رأت هيلواز دو روشوفور.

لم تكن امرأة طويلة، لكن شعرها الرمادي، المصفف بعناية، يضفي عليها ميزة خاصة بالنسبة إلى سابين، المعتادة على المكياج الفاقع للعمة روث، رأت ان وجه

السيدة يبدو وكأنها تضع قناعاً نادراً، لا شيء يفسده الا الجرح الصغير على جبهتها، كانت عيناها غائرتين وباردتين، وثوبها الأزرق يؤكد طبعها المسيطر، وضعت بروش رائع على احد كتفيها، وكانت يداها في حضنها، وعلى احدهما ربطة.

قالت وهي مستغرقة في تفكيرها: «آنسة راسيل، ارجوك تفضلي بالجلوس.» واشارت بيدها إلى المقعد المواجه لها. اطاعت سابين واضعة يديها في حضنها مثل السيدة دو روشوفور تماماً، كان يخالجها شعوراً غريباً انها تمثل دوراً في مسرحية، لكنها لا تعرف النص، ولا حتى تعرف ارجاء المسرح.

ادارت السيدة رأسها بخفة: «انطوانيت عزيزتي، لم تقابلي بعد هذه الشابة، التي اتت إلى بلادنا لفترة قصيرة من انكلترا.»

عندما تكون السيدة الأولى على المسرح، لا يمكنك ملاحظة باقي الممثلين، هذا ما فكرت به سابين، عندما لاحظت ان كلام السيدة ليس موجهاً لها، كما ان امرأة شابة نهضت عن الاريكة واقتربت منها على مضض.

كانت اطول من سابين، واكبر منها أيضاً. شعرها الأسود الكثيف يغطي كتفيها، كما ان انفها القصير، وعيناها البنيتان يزيدانها جمالاً، نظرت إلى سابين بعداوة ظاهرة.

ان ثوبها الأصفر الضيق يجعلها تبدو كعارضة أزياء أو كممثلات السينما، لقد بدت وكأنها لا تنتمي إلى عمتها الأنيقة، وقصرها الفاخر.

بالكاد لمست باصابعها يد سابين، لكن نظرة واحدة من رأسها حتى قدميها جعلتها تفهم كل شيء، قررت سابين انها لن تسمح لعائلة دو روشوفور ان تنظر اليها بكبرياء لذلك ابقت على ابتسامتها المهذبة طوال الوقت.

اذاً، هذه هي الفتاة التي يخطط روهان سانت ايف للزواج منها، ان غضبه يناسب تماماً كبرياءها المتعجرف. آه؟ حسناً، لا شك انهما يناسبان بعضهما جيداً.

استدارت انطوانيت وتكلمت مع عمتها بلغة البلاد الاصلية: «السيدة هيلواز.. هل من الضروري حقاً ان نقوم بذلك... ان نستقبل هذه المخلوقة هنا؟»

اجابت السيدة مقاطعة: «بالتأكيد ضروري، كما انني احذرك، يا انطوانيت، ان الآنسة راسيل تفهم لغتنا تماماً... وتتكلمها أيضاً.»

فكرت سابين، انه لم يكن هناك من حاجة لتحذيرها، حيث احمرت انطوانيت غضباً.

«الآن اقرعي الجرس، يا عزيزتي، لتحضر لنا أرنستين الشاي، عندها يمكنك المغادرة، احب ان اتكلم مع الآنسة راسيل بمفردنا.» ابتسمت قبل ان تتابع: «لكن كيف يمكنني ان اتعامل بشكل رسمي مع ابنة ايزابيل؟ ما هو اسمك، عزيزتي؟»

«سابين، يا سيدتي.»

رأت وجهها يتهجم فجأة، كما ان يديها قد اشتدت قبضتهما في حضنها.

عندها، قالت انطوانيت بغضب حاد: «ما هذه الوقاحة! هذا اسم خاص بعائلة دو روشوفور، لا يحق لها بذلك.»

كلماتها زادت التوتر في الغرفة، وكان اسلاكاً من الكهرباء قد قطعت.

قلبت السيدة شفتيها بخفة: «هدئي من روعك، يا طفلتي، لا حق لنا في الاستئثار بالاسماء... أو بأشياء كثيرة أخرى هذه الايام.» اضافت بطريقة عادية: «كما ان اسم سابين لم يستعمل في عائلة دو روشوفور منذ عدة اجيال، الان اطلبي لنا الشاي، كما طلبت منك، من فضلك.»

بدت انطوانيت كثورة من الغضب، لكنها اطاعت عمتها، فخرجت من الغرفة باندفاع.

قالت السيدة، عندما اصبحا بمفردهما: «اذن، يمكننا التحدث براحة اكثر الآن.»

تساءلت سابين بصمت، هل نستطيع ذلك؟ قالت بهدوء: «اتمنى ان تكوني قد شفيت من ذلك الحادث السيء البارحة، يا سيدتي.»

ضحكت السيدة ضحكة قاسية: «آه، لا تذكريني بغبائي، ارجوك اشعر بالخجل من تصرفي، لكن للحظة اعتقدت انني شاهدت شبحاً، انت تفهمين ذلك.» هزت رأسها ببطء: «نعم، انت ابنة ايزابيل بدون أي شك.»

«هل هذا هو سبب دعوتي.. إلى قصر يبدو بوضوح انني غير مقبولة فيه.. لتنظري إلي لمرة ثانية؟»

ردت بانزعاج: «لا، بالطبع لا، ارغب ان اعبر عن اسفي لتصرفات قريبي المتسرعة، انه ولد عزيز، يضحي ويكرس نفسه للاهتمام بشؤون عائلتنا.»

توقفت قليلاً لتتابع: «يؤسفني ان اسمع ان والدتك قد توفيت.»

قالت سابين بهدوء: «شكراً لك.»

«اخبريني.. هل كانت سعيدة في انكلترا؟ والدك.. هل كان زوجاً جيداً ومحباً لها؟»

ردت سابين بلهجة طبيعية: «كانا.. يبدوان سعيدين جداً.»

«لقد عاشت هنا، بالطبع كان والدها، هيرقل، رئيس العمال لدينا، كما هو روهان الآن، لكن مما لا شك فيه انها قد اخبرتك بذلك؟»

هزت سابين رأسها: «لا، سيدتي، لم تذكر والدتي كلمة واحدة عن حياتها هنا، ما عدا ان لا اقارب لها.»

برمت السيدة بالعقد المميز الذي تضعه حول عنقها: «لم تقل شيئاً آخر؟ لكن هذا أمر غريب.»

وافقت سابين: «هذا ما فكرت فيه أيضاً.» واضافت بقوة: «لا شك ان لديها اسبابها.»

بدت السيدة وكأنها تنظر من خلالها إلى الايام الماضية: «آه، كانت جميلة جداً، كانت حماتي لا تزال على قيد الحياة، حينها، ولقد شجعتها على تنمية مواهبها الفنية.»

تنهدت بتعب قبل ان تتابع: «فتاة رائعة الجمال، لسوء الحظ، كانت من تلك النساء التي ولدت لتثير اهتمام وحب الرجال لها، هذا يجلب حزناً اكثر بكثير من السعادة، الا ترين ذلك أيضاً؟»

«هذا أمر لم يثر اهتمامي شخصياً، هل تقولين ان والدتي قد هربت من هنا... بسبب انها قد صادفت الكثير من الحب؟»

قالت السيدة بصراحة: «من المؤكد ان شقيق زوجي فابيان كان يحبها كثيراً، لقد بقي على حبها حتى وفاته،

كما يبدو لكنه كان مجبراً على الزواج من أخرى... زواج يليق به، وكانت ايزابيل تشكل خطراً عليه.»

توقفت: «ذلك هو السبب، عندما اظهرت ميولاً لتصبح فنانة، قررت حماتي ان ترسلها إلى احدى الجامعات في باريس.. كما انها دفعت كل نفقات تعليمها، لقد فكر الجميع.. انها ستتزوج هناك بالتأكيد، وستضع حداً لهذه المشكلة، لكن لم يحدث ذلك وعندما مرض هيرقل عادت لتعتني به، وعاد كل شيء من جديد.

في ذلك الوقت اصبح فابيان أرمل، انت تعلمين ذلك، وبعد موت هيرقل، اقترح ان تبقى ايزابيل في القصر لفترة لتساعد في تربية الاطفال، كانت انطوانيت في الثالثة من عمرها، وحيوية جداً، لم توفر ولا واحدة من الحاضنات العناية اللازمة لها، كان روهان اكبر بالتأكيد، لكنه كان بحاجة للعناية التي لا يستطيع فابيان تأمينها له، مع انه كان يحبه جداً.»

ارجعت رأسها إلى الوراء بعصبية: «كانت غلطة كبيرة، بالطبع، ان تبقى ايزابيل.. ان تصبح قريبة من فابيان ثانية، لقد ادركت ذلك على الفور، لكن كان قد فات الأوان، لقد طلب منها الزواج، لكننا رفضنا ذلك، بطبيعة الأمر، لكنه كان مصراً. لقد تزوج مرة من اجل مصلحة العائلة، هذه المرة سيتزوج بناء على اختياره الشخصي، هذا ما قاله لزوجي.»

سألت سابين: «اذاً لقد كانا مخطوبين؟»

«نعم، لكن كان هناك العديد من المشاكل، لقد اعتادت والدتك على العيش بحرية في باريس... كانت مسؤولة عن

نفسها، ورفضت على الفور العيش في القصر، كانت تريد منزلاً خاصاً بها، وقد اقنعت فابيان ان يعطيها المال الكافي لشراء ليه هيبو لاسمها فقط، لم يكن يرفض لها طلباً، بالطبع، لذلك اشترت المنزل، اعتقد انه كان يفكر في انهما سيعيشان هناك بعد زواجهما.»

توقفت عن الكلام لفترة، بعدها قالت بصوت مختنق: «وبعد ذلك غادرت... اختفت... بدون اية كلمة... بدون أي اثر، وذلك قبل اسبوعين فقط من موعد الزفاف.»

«هكذا؟»

هزت السيدة رأسها: «لم يكن فابيان هنا عندما رحلت. كان في رحلة عمل إلى كاليفورنيا، لقد نفذت خطتها بعناية، كما يبدو، وقد فقد كل عزاء له عندما وجد انها رحلت، لقد دمره رحيلها، لم يعد شيئاً إلى سابق عهده ثانية.»

«لا يمكن ان ترحل هكذا، لم تكن ابداً انسانة حقودة.»

هزت كتفيها: «من الواضح، انها لم تحبه يوماً كما احبها، كنت اشعر بذلك، لكن يحدث هذا دائماً في معظم العلاقات. هناك واحد يحب، والآخر يقوم بكل التضحيات.»

توقفت عن الكلام لتعض على شفتها لتتمكن من السيطرة على اعصابها. صمتت سابين أيضاً. لم يكن من السهل عليها ان تتوقع من والدتها ان تحصل على كل هذا الحب من دون أي تبادل منها، انها لا تمت بصلة إلى المرأة التي تعرفها، لكن ذكرى هاغ راسيل وحبه الاعمى لها، وتعلقه بها بدون أي شك جعلها تشعر بالحيرة من والدتها.

فكرت، لقد كنت طفلة في النهاية وقد رأيت فقط ما اريد ان

أراه، وطريقة حصول ايزابيل على منزل ليه هيبو تبدو غير واضحة أيضاً، فلا بد انه عمل شرير وسيء للحصول على مبلغ كبير من المال من شخص لا ترغب بالزواج منه ولشراء منزل لا ترغب بالسكن فيه.

لماذا ابقت الأمر سراً كل تلك السنوات، طالما انها لا تريده؟ ولما لم تعمل على بيعه وبذلك يستعيد فابيان دو روشوفور جزء من خسارته؟

فكرت، لأنها لا تريد ان يعلم احد بمكان وجودها، هذا هو السبب، فأي تحقيق عن بيع المنزل... أي توقيع على اوراق عقد البيع سيوصل بالتأكيد إلى مكان وجودها.

لكن حتى لو كانت غير واثقة من قرارها بالزواج لن تقدم على مثل هذا التصرف، خاصة ان ايزابيل كانت تعلم انها تنتظر طفلاً من فابيان، ومع ذلك قررت المخاطرة بذلك، مع انها وحيدة وحامل.

قالت لنفسها، لا بد ان شيئاً ما قد حصل، شيء مخيف، مروع، وعليّ ان اعرف ما هو. لا يمكنني ان اترك الأمور على ما هي عليه وارحل، قالت بصوت هادىء: «اذا كنت تريدين مني ان اشرح لك سبب تصرف والدتي، يا سيدتي، لا استطيع ذلك، لقد اكتشفت منذ فترة قصيرة علاقتها بهذا المكان، ولقد تم ذلك عن طريق الصدفة، لقد تركت... بعض الاشياء.» تناولت الصورة من المغلف، وقدمتها لها. «كانت هذه من بين الاغراض، ولهذا اتيت إلى هنا.»

عادت السيدة لتخفي ما تفكر به وراء قناع من البرودة، لكنها شدت على شفتيها ما ان لمحت الصورة.

«انها من تصميم والدتك للقصر وقد طلب منها فابيان

ذلك، لقد قال، انه يريد صورة جديدة التصاميم للعمل، ولقد اصر على استعمالها، حتى بعد رحيلها.» اضافت وكانها تقول لنفسها «اسطورة البرج والوردة.»

نزعت سابين الميدالية من حول عنقها وقالت: «وكان أيضاً يوجد هذه.» وضعتها بنعومة في يد السيدة: «انها من الواضح تعود إلى عائلتك، واحب ان اعيدها.»

بقيت المرأة جامدة لفترة، تحدق بها: «من اين حصلت عليها؟»

«لقد وجدتها، لا بد انها كانت هدية أخرى.»

«نعم.» وتنهدت بعمق: «هدية أخرى.» فتحت جارور صغير في الطاولة إلى جانب كرسيها، واسقطت الميدالية فيه، بعدها اغلقته وكانها تضع ستاراً على الماضي كله.

بعدها نظرت إلى سابين: «لماذا اتيت إلى هنا، يا آنسة راسيل؟ فابيان قد توفي، ووالدتك أيضاً، لما تريدين الغوص في الجروح القديمة هكذا؟ ماذا تاملين بالحصول عليه؟»

رفعت سابين ذقنها، وقالت: «اريد الحقيقة، بكل بساطة.»

هزت السيدة كتفيها: «الحقيقة؟ لقد كانت والدتك فتاة سخيفة جشعة... تبحث عن الجاه والمال وارادت الزواج من شخص أعلى من مستواها، لكنها خافت في اللحظة الأخيرة، غير مهتمة بالاذى الذي سببته، هذه هي الحقيقة.»

قالت سابين: «انني آسفة، لكنني لا اصدق ما تقولينه.»

انحنت السيدة إلى الامام، حدقت بغضب واضح في وجه سابين: «خذي نصيحتي، آنسة راسيل، امضي بعض الوقت

في بلدتنا الجميلة... اجلسي تحت أشعة الشمس... وتمتعي بالهواء العليل لكن توقفي عن طرح الاسئلة. يكفي ما حدث من الحزن والألم هنا.»

ابعدت نظرها عن سابين، وقالت: «ها قد وصل الشاي.» تبدلت تعابير وجهها لتنم عن احساس بالحنان: «انه جيد من قبلك ان توفر على أرنستين مشقة الدرج، عزيزي كما ترى، فانني اتحدث مع ضيفتي.»

جلست سابين بتوتر على مقعدها، لم تكن بحاجة للنظر حولها لتعلم من دخل الغرفة، شعرت بأن كل عصب من اعصابها قد اصبح كسلك مشدود.

قال بغضب، وهو يضع الصينية: «لقد علمت بذلك، لكن ارنستين، لم تعرف شخصية الضيف، ماذا تفعلين هنا، يا آنسة؟»

قاطعته السيدة، وهي سعيدة بردة فعله: «كم انت قاسٍ، يا عزيزي روهان، لقد دعوتها للقدوم بالطبع.»

قالت سابين، وهي تنهض عن كرسيها: «ولقد علمت تماماً بعدم الترحيب بي هنا.»

حركت السيدة يدها نافية: «لا، لا، اجلسي ثانية، سنتناول الشاي معاً، انها عادة انكليزية محببة.» اضافت بعد ان جلست سابين مكرهة: «كنت والآنسة راسيل نتحدث عن الماضي.»

سحب روهان كرسي وجلس عليه مما جعله يبدو كبيراً ومهيباً امام الكرسي الصغير.

قال بوقاحة: «حان الوقت لننساه، لقد عاش هذا القصر الكثير من المآسي... والانتصارات السابقة أيضاً، الآن

علينا الاهتمام كلياً بالمستقبل، أو اننا سنخاطر بفقدان كل ما نملك.»

قالت السيدة بصوت حاد: «افهم من ذلك انك كنت تقوم بزيارة السيد جيروم، اتمنى انك رأيته كما تحب؟»

هز كتفيه: «لقد بدأ يفقد صبره.»

اختفى غضب السيدة بسرعة عندما امسكت بعلبة عليها شريط، من على الصينية وقالت: «حلوى من سانت اميليون، انها المفضلة لدي.» واستدارت لتقدم منها إلى سابين، وهي تتابع: «انها افضل حلوى في العالم، يا آنسة انها تصنع بذات الطريقة منذ قرون مضت، ليس هناك شيء مثلها. يجب ان تتذوقيها.» توقفت قليلاً لتقول: «لا بد انك سمعت بسانت اميليون، بالطبع.»

هزت سابين رأسها: «لقد مررت بها على طريقي من بوردو، لكنني اعتقدت انها مشهورة فقط بالشراب على انواعه.»

ملأت السيدة الفنجان: «انها قرية رائعة... اتمنى ان يتسنى لك الوقت لزيارتها قبل ان تغادري، تفضلين الحليب أم الحامض، يا آنسة راسيل؟»

«الحامض، من فضلك.» توقفت قبل ان تتابع: «كما ان لدي كل الوقت الذي احتاجه، يا سيدتي.» اضافت ذلك ببرودة وحزم، وكأنها تريد ان تغيظها، وهي تنظر إلى الرجل الصامت الجالس أمامها.

قالت السيدة: «بينما نتحدث عن الشراب، هل تذوقت شيئاً من الشراب الذي نعده؟ لا بد ان تفعلي ذلك، لأنك حفيدة رئيس العمال لدينا، فلا بد لرأيك ان يكون قيماً.»

توقفت سابين عن تذوق الحلوى المميز والشهي، لتقول: «لا اعتقد ذلك، فلا خبرة لدي بهذا الموضوع.»

تابعت السيدة وكأنها لم تقاطع: «ربما لسنا معتادون في هذه المنطقة على انتاج الكثير من الاصناف، بينما معظم جيراننا في برجراك ينتجون عدة انواع من ذات الشراب.»

تابع روهان بقسوة: «وهذا ما يسمح لهم بالدخول إلى الاسواق بسرعة اكبر، فلم يعد انتاجنا من اهم المنتوجات في الاسواق، علينا ان نتطور أيضاً، اذا اردنا الاستمرار، والا سنعيش لنرى ان كرومنا ستقتلع وتتحول بساتيننا إلى حقول جرداء كما حدث لبعض المقاطعات المجاورة.»

قالت وهي تهز كتفيها: «ليس عليك الا اقناع عمك غاستون، يا عزيزي، وليس انا.»

اجاب روهان بحدة: «هذا ما اعرفه بالتأكيد، لكن في الوقت الحاضر، يبدو من المستحيل ان أي نوع من العمل له أية قيمة.»

قالت البارونة: «بكل الاحوال، هذا أمر مستحيل هذا اليوم، لأن ليون قد اخذه إلى دووم.»

ضغطت سابين على اعصابها، كي يبدو صوتها عادياً، فلا رغبة لديها اطلاقاً ان تنجرف اكثر بمشاكل دو روشوفور الحياتية «لقد حان الوقت لأذهب، سيدتي، شكراً على الشاي.»

«لقد كان ذلك من دواعي سروري يا سابين.» بدت الابتسامة واضحة على شفتيها لكن لم يكن هناك أي تعبير في عينيها الزرقاوين، مدت يدها لتسلم عليها وتتابع:

«روهان، تاكد ان الآنسة قد تذوقت بعض الشراب لدينا قبل ان تغادر، لأنها ستكون هذه فرصتها الوحيدة.»

بدأت سابين بالقول: «ليس هناك من داعٍ، حقاً.»

قاطعت السيدة اعتراضها: «آه، لكنني اصر من اجل اسم هيرقل. روهان، ارجوك، ارسل لي ارنستين، لأنني اريد ان ارتاح الآن.»

قبل يدها، وبدا الاهتمام واضحاً على وجهه: «لم يكن عليك ازعاج نفسك هكذا، ليس هناك من حاجة، هل اصبح ألم رأسك اخف؟»

«لقد ذهب تماماً، أؤكد لك ذلك، ولقد رغبت بالقيام ببعض الأمور، لم نكن البارحة لطفاء... خاصة ان هذه الطفلة قد اتت من مكان بعيد لتتعرف علينا، لقد أمضيت فترة مهمة معها.»

وانا أيضاً امضيت وقتاً رائعاً... تساءلت سابين وهي تسير نحو الباب، ماذا ستكون ردة فعلها لو قالت ما تفكر به بصوت عالٍ، لكنها قررت عدم المخاطرة بذلك.

رأت وهي تمر، على احدى الطاولات القديمة اطاراً كبيراً من الفضة يضم صورة لشابين، ربما هو السيد دو روشوفور وشقيقه. ما عدا لون شعرهما الفاتح وملامح وجهيهما القوية، لما عرف احد انهما توأم، تساءلت، ترى من منهما والدها، ومن هو عمها.

بدا لها أمر غريب ان لا تتمكن من البوح بعلاقة هي تخصها وحدها بالتأكيد، لكن في ظل هذه الظروف من الافضل لها الصمت، خاصة ان روهان سانت إيف يسير بغضب خلفها وكأنه آمر سجن.

عندما اصبحا في الممر، قالت بحدة: «استطيع ان اتابع الطريق بمفردي، ام انك تخاف ان اسرق مجوهرات العائلة؟»

اجاب ببرودة: «ترغب السيدة دوروشوفور ان تتذوقي شرابنا. وانا لا اتجاهل عادة طلباتها، لا ترفضي طلبها، ارجوك.»

توقعت سابين ان تكون السيدة قد حصلت على ما تريده منها، لكنها مع ذلك سمحت لنفسها ان تدخل القاعة الكبرى.

كانت غرفة كبيرة ومهيبة كما يطلق عليها اسمها، مليئة جدرانها باللوحات الفاخرة، ومفروشات ضخمة في احدى زواياها، وضعت طاولة طويلة في وسطها، مليئة باعداد كبيرة من الاوعية الملونة وصينية عليها أكواب عدة، نظرت سابين حولها بفضول واضح، تأملت لوحة كبيرة في الوسط. البرج والوردة ثانية، لكن هذه المرة كان هناك عنصر جديد مضاف للبرج... نافذة، حيث هناك تقف فتاة ترتدي ثوباً يعود تصميمه للقرن الخامس عشر، وتبدو وكأنها تسترق للنظر إلى الاسفل.

لاحظ روهان اين تركز عيناها فقال: «انت تعلمين اسطورة لا تور مونشوزيت؟»

قالت معترفة: «اشعر انني يجب ان اعرفها، لا بد انني سمعتها كقصة للنوم وانا طفلة.» اخذت تفكر محاولة ان تتذكر: «اليست هي قصة الأميرة التي حبسها والدها في البرج العالي؟»

قال روهان بطريقة جافة: «القصة الحقيقية ليست قصة جميلة، لم تكن الفتاة أميرة، لكنها زوجة غير مخلصة.» توقف ليضيف بدون اهتمام: «كان اسمها سابين.»

«آه، حقاً؟» وضاقت عيناها من الدهشة، فضحك فجأة. تغير وجهه كلياً، جعلها تشعر بالامان من الانجذاب القوي نحوه.

قال: «نعم، حقاً، كانت سابين الأولى، رآها مرة زوجها تضع وردة على ثوبها لم تكن موجودة في حديقته، واعتقد انها هدية من حبيبها، لقد جن من الغضب والغيرة، لذلك حبسها في البرج، ولا شيء معها الا ماكينة الخياطة، قال لها انها ستبقى هناك، بدون طعام أو ماء، حتى تتمكن من حياكة غطاء لسريرها.»

قالت سابين: «يبدو ذلك وكانه حكم بالموت.»

وافق روهان: «هذا ما هو بالفعل، لانها لم تكن تعرف شيئاً عن الخياطة.»

«وما الذي حدث؟»

هز كتفيه: «اتى حبيبها ليبحث عنها، قلقاً لأنه لم يستلم اية كلمة منها، في تلك الاثناء، كانت قد اصبحت ضعيفة جداً من الجوع والعطش لتتمكن من مناداته من النافذة، لكن الوردة التي قدمها اليها كانت لاتزال جميلة ويانعة على ثوبها، وهكذا وبآخر ما لديها من قوة، دفعت بالوردة من خلال قضبان النافذة، لتستقر على الأرض بجانب قدميه.»

قالت سابين: «وبذلك تمكن من انقاذها، وقد عاشا بسعادة طوال عمرهما.»

قال موافقاً: «هذه احدى الاساطير، بالتأكيد، لكن هناك من يقول انه لم يلاحظ الوردة وقد غادر مبتعداً بكل بساطة.»

«وما الذي حدث للفتاة؟»

«لقد ماتت من الجوع، وقال زوجها انها توفيت من مرض عضال، وتزوج بسرعة من امرأة أخرى، فتاة اقل منها جمالاً لكنها مخلصة، وقد رزقا بإثني عشر طفلاً.»

قالت متجهمة: «افضل النهايات السعيدة.»

قال: «اني متأكد من ذلك، لكن الحياة ليست جميلة دائماً، ما عليك الا النظر إلى جيل واحد سابق.»

عضت على شفتها، رافضة ان تشعر بالاسى نحوه: «هل حقاً هناك برج؟»

قال: «نعم، في الغابة، لكن عمي يقول انه اصبح بناء، معرض للانهيار، وهناك خطر من سقوط سطحه، لذلك لا يسمح لأحد بالاقتراب منه.»

قالت سابين: «انه أمر مؤسف ان لا يقوم على اصلاحه عوضاً عن ذلك، وبما انه من اهم القصور المميزة، لذلك يمكن استعمال الاسطورة كعامل لجذب الزوار، وبذلك تتمكنون من بيع المزيد من الشراب.»

«معظم ما ننتجه نصدره للخارج، وان ربحنا كاف في الوقت الحاضر، كما ان جذب الزوار ليس من اهتمامات القصر منذ زمن طويل، في الحقيقة، ليس من وقت الحادث الذي تعرض له عمي.»

قالت: «انني آسفة، لم اكن اعلم... مع ان المضيفة في برجراك حذرتني من انني لن اتمكن من التجول في البساتين هنا بسبب سوء صحة السيد دو روشوفور.»

قال مصححاً لها: «ان صحته العامة ممتازة، مع انه قد تعرض لحادث جعله مقعداً منذ اكثر من عشرين سنة، بعد ان وقع عن حصانه، ولقد اصبح يسير على مقعد متحرك منذ

ذلك الوقت. لقد جعله ذلك... حساساً جداً خاصة بالنسبة لوجود اشخاص غرباء.»

شعرت سابين بغصة قبل ان تقول: «يبدو ان عائلة دو روشوفور قد عانت الكثير من المصائب وسوء الحظ.»

«لكن الحقيقة تفضي ان الهموم لم تنته مع عمي، فحتى قبل تعرضه للحادث كان من المحتمل ألا يرزقا بطفل هو وعمتي هيلواز، بعد ذلك، اصبح الأمر مستحيلاً.»

قالت، متذكرة ما قالته لها ماري كريستين: «لكن لديهما انطوانيت.»

«بالطبع ذلك.» لا وجهه ولا صوته دلا على شيئاً من العاطفة. تابع بحدة: «اتمنى أيضاً، انهما قد يحصلا على بعض السلام والامان.»

كأنه يقول، بكلمات أخرى، من دون أي دور له بذلك، هذا ما شعرت به سابين، حولت انتباهها إلى آلة موسيقية تعود للقرون الوسطى: «انها جميلة.» وقالت بفرح: «هل مازالت تستعمل؟»

«في المناسبات العامة.. ان كان لدينا احتفال كبير، كفتح اسواق عبر البحار، أو عندما يكون في القصر احتفال خاص، كذكرى مولد العمة هيلواز، حتى ان عمي يرتدي بعض الثياب الرسمية لذلك.» توقف قليلاً، ليضيف: «اعتقد، ان المرة القادمة، ستكون في يوم الزفاف.»

فكرت سابين، اذاً انها الحقيقة، سيتزوج من انطوانيت.

تذكرت ذلك الوجه الجميل، والحركات الناعمة المغرورة للفتاة التي كانت ترتدي الثوب الاصفر، وشعرت بألم قوي يصيبها ويشتد حتى يصل إلى قلبها.

شدت على اعصابها، ليبدو صوتها عادياً: «هل... هل سيكون الزفاف قريباً؟»

هز برأسه، بصورة عادية: «في غضون عدة اسابيع.»

«في ذلك الوقت، ساكون قد غادرت.» بعدها قالت بغضب لنفسها، ويسعدني انني لن اكون هنا.

لانها، علمت على الفور مع غصة في قلبها مفاجأة، ان آخر شيء تريده في العالم هو ان تكون هنا عندما يتزوج روهان سانت ايف من انطوانيت... أو من أية امرأة أخرى.

الفصل الخامس

سمعت صوته يأتي من بعيد: «هل هناك شيء ما؟ تبدين شاحبة جداً.»

وجدت صوتها بطريقة ما: «انني بخير، لكن الطقس حار جداً اليوم، وانا لست معتادة على ذلك بعد...» اجبرت نفسها على الابتسام: «لا بد ان أي نوع من الشراب الآن جيد.»

«حسناً.»

راقبت سابين روهان وهو يختار احدى الزجاجات ويسكب لها القليل منها. قال: «تذوقي هذه.»

اخذته، وهي ممتنة ان يدها لم تكن ترتجف بشكل واضح، شعرت بأن ركبتيها قد تحولتا إلى ماء، وفكرها مازال مشتتاً من الحقيقة التي ظهرت لها للتو.

فكرت، انه أمر مستحيل، انه نوع من الجنون، انها المرة الأولى التي يتكلم معي بطريقة عادية...

تماسكت وهي تجبر نفسها على الاهتمام بما تشربه.

قال بسخرية: «جيد! ماذا تعتقدين؟»

قالت: «لا شيء ينكر.»

«حسناً، على الأقل انك صادقة في ذلك.» وعلى الرغم من احساسها الجديد نحوه رغبت سابين بكل قوة لو ترمي ما تبقى في كوبها على وجهه، امسك بزجاجة أخرى، قال لها: «انظري إلى اللون أولاً.»

www.elromancia.com

قالت: «انها تبدو جميلة.»

«الآن يمكنك ان تشربي.»

قالت: «انه شهي، كطعم العسل.»

قال: «حسناً، سأسكب لي أيضاً.»

«لا بد ان صناعة الشراب تكلف الكثير.»

قال موافقاً: «انها ليست سهلة، لكنها بحاجة إلى كثير من العناية، وهذا ما اقوم به شخصياً.»

«هل لدينا زبون جديد، يا روهان؟ لم يخبرني احد بذلك.»

استدارا معاً، عندما سمعا الصوت القادم من الباب المواجه، كان غاستون دو روشوفور رجلاً وسيماً، على الرغم من اعاقته، لكن الألم قد حفر خطوطاً واضحة على جبهته وبجانب فمه وتحول الشعر الاشقر إلى لون رمادي، وبدت بشرته شاحبة وصفراء، وكأنه يمضي معظم اوقاته داخل المنزل، على الرغم من كل ذلك كانت عيناه الخضراوين تشعان بالحياة والثورة على قساوة المقعد المتحرك الذي كان يجره عبر الغرفة..

اتسعت تلك العينان عندما نظر إلى سابين، بعدها اصبح كمن ينظر في الفراغ... أو الماضي، توقفت الكرسي، واليدان اللتان كانتا توجهانها تغير لونهما، فجأة ملأت الغرفة بصمت، مهدد وقوي الحضور.

فكرت سابين، وكأنها وصلت إلى النهاية، وكأنها لحظة ما بين البرق وأول صوت للرعد.

قال بنعومة: «من انت؟» وشعرت سابين بقشعريرة تسري في كل جسمها.

رفعت ذقنها، وحدقت به: «اسمي سابين راسيل، سيدي.»

«وأنت ابنة ايزابيل، بالطبع.» توقف ليقول: «كيف هي والدتك؟»

قالت ببساطة: «لقد توفيت منذ ثماني سنوات، يا سيدي عندما كنت في الرابعة عشر، وقد علمت مؤخراً انها قد عاشت بالقرب من هنا.»

«ولذلك قررت ان تقومي بزيارتنا.» رأت يديه ترتخيان، والكتف العريض يتكيء براحة على المقعد، وهو يتابع: «حسناً، هذا أمر طبيعي، لكن كان على احد ما ان يخبرني انك هنا.» اضاف وهو ينظر إلى روهان بنظرة غاضبة، الذي كان يقف، ولا ينم وجهه عن أي تعابير: «انني اعيش في عزلة تامة هذه الايام، يا آنسة، فقط مع كتبي واوراقي، لكنني ما ان رجعت إلى البيت حتى شعرت ان شيئاً ما... أمر غير عادي قد حصل.»

ابتسم بقلق: «بالطبع، افهم الآن كيف وقع الحادث مع زوجتي المسكينة، ان وجه الشبه بينك وبين والدتك... مذهل تماماً، اعترف الآن انني عندما رأيتك تدخلين إلى الغرفة احسست بأن اكثر من عشرين سنة من عمري... قد انهارت.»

عضت سابين على شفتها: «يبدو انني اسبب الصدمة لعدد كبير من الناس، لم اقصد ذلك ابداً.»

«آه، لا، ليس صدمة، يا آنسة انها اكثر من مفاجأة سارة، اليس هذا ما تراه، يا روهان؟» هز روهان كتفيه، وهو يحدق باهتمام بوجه عمه.

تابع: «لكن كان يجب ان اعلم بقدومك، وبذلك اتمكن من استقبال ابنة ايزابيل في قصري بنفسي.»

شرب روهان ما تبقى من كوبه ووضعه على الصينية، قال: «لقد اعتقدت انك مازلت في دووم، يا عمي، والآنسة راسيل كانت تزورنا لفترة قصيرة، وهي راحلة الآن.»

قال غاستون وهو يبتسم: «لكن ليس قبل ان تقول لي رأيها بالشراب الذي تذوقته، لقد سمعت مرة ان الشراب اللذيذ كالمرأة الجميلة.. هل شرابنا لذيذ هكذا يا آنسة؟»

ضحكت سابين: «الذي شربته الآن بالتأكيد، مع انني لا اوافق على هذا التشبيه، اما الأول فإنه خفيف.»

نظر غاستون إلى ابن شقيقه: «هل سمعت؟ ربما هيرقل قد عاد الينا أيضاً.»

قال روهان بحدة: «لم يعد احد إلينا، ان الآنسة راسيل هنا لعطلة قصيرة، هذا كل ما في الأمر، وستعود إلى انكلترا في القريب العاجل.»

«اذاً علينا ان نرفه ونهتم بها جيداً، ربما يمكنك تناول العشاء معنا، يا آنسة مساء السبت؟»

أجاب روهان بسرعة وغضب: «لا يمكننا ان نشغل كل أوقات الآنسة راسيل ومما لا شك فيه انها قد وضعت خطة بذلك.»

قال غاستون بلطافة: «يجب ان تسامحي روهان على تصرفه العدائي الواضح فما زال هجران والدتك لشقيقي المسكين منذ تلك السنوات يؤثر به.» رفع كتفيه وهو يتابع: «لكن لكل إنسان اسبابه، وبكل الاحوال اصبحت ايزابيل بعيدة عن اللوم الآن.»

قالت سابين، وهي تحدق بروهان: «هذا تماماً ما اشعر

به، مع انني اعترف بانني ارغب ان اعلم ماذا كانت تلك الاسباب بالتحديد.»

تنهد غاستون: «من يستطيع ان يخبرك؟ شجار المحبين... توتر طبيعي للعروس، يستطيع المرء ان يجد عدة اسباب للتفسير.»

قالت ببطء: «اعتقد ذلك، لكن مع والدتي لا بد ان الأمور كانت اكثر من ذلك، انني متأكدة مما اقوله، وكأنها كانت ترغب ان تنسى هذا الجزء من حياتها وكأنه لم يكن أبداً.»

سأل روهان، وشيء من الغضب واضح في صوته: «الا تعتقدين ان عليك احترام رغباتها؟»

قالت ببرودة: «لقد اتهمت بالكثير من الأمور، واشعر ان علي وضع الأمور في نصابها.» استدارت نحو غاستون لتتابع: «شكراً لك على دعوتك، يا سيدي ويسعدني قبولها.»

«اذن لنقل عند الساعة الثامنة؟ لكن اتمنى ان تزورينا اكثر بشكل غير رسمي، اين تعيشين؟»

قال روهان مقاطعاً: «ان الآنسة راسيل تعيش في ليه هيبو.»

قال غاستون: «آه، بالطبع، انه مكان خلاب، لكن ليس فيه كل وسائل الراحة، لدينا بركة سباحة خلف القصر، يا آنسة راسيل، ويسعدني ان تذهبي اليها عندما تريدين.» نظر إلى قريبه وقال: «روهان، عليك ان ترشد الآنسة راسيل إلى الطريق القصير في الغابة بين القصر ومنزلها.»

شد روهان على اسنانه بضيق وقال: «من الأفضل ان

اسأل ماري كريستين لتفعل ذلك، يا عمي غاستون، اذا كانت هذه رغبتك، علينا ان نتحدث انا واياك.»

بقيت الابتسامة واضحة على وجه غاستون دو روشوفور، لكن رأت سابين كيف ان يديه قد امسكتا بشدة على كرسيه المتحرك، لقد تبدل التوتر الذي كان سائداً في الغرفة بطريقة ما. «لقد كنت في آرنسي اليوم، على ما اعتقد.» واضاف بلهجة وكأنه يشتم «جوهرة صوت مادوك.»

قال روهان بضيق: «نعم، لكن هذا ليس المهم على الاقل ليس الآن. انها بعض الملاحظات التي وضعتها على مكتبك منذ اسبوعين علينا مناقشتها معاً.»

قال غاستون مقاطعاً: «لقد رأيتها، اسعاره منافية للعقل، والأوعية التي لدينا اصبحت كالخردة.»

قال روهان بغلاظة: «انها كذلك منذ فترة طويلة، كذلك علينا البحث ببرنامج التشجير مع جاك.»

حرك غاستون يده وكأنه يصرف فكره عن الموضوع: «مازال الوقت باكراً للحديث عن هذا الآن، انك دائماً فاقد الصبر، يا ولدي العزيز، كذلك علينا الا نزعج الآنسة راسيل باعمالنا، خاصة انها ترغب منك ان توصلها إلى بيتها. ليس من التهذيب ان ندعها تنتظر.»

شعرت سابين بالاحراج: «آه، من فضلك، استطيع ان اجد الطريق بنفسي...»

قال روهان بقسوة: «الأمر غير مهم، فالاعمال لم تكن يوماً من اهتمامات عمي الأولى.»

للحظة واحدة، التقت عينا الرجلان وشعرت سابين

بخيبة، وكأن السيوف قد انسلت من كليهما. قطع غاستون افكارها، وهو يبتسم: «أمر مؤثر، لكن روهان سيخبرك، آنسة انني امضي معظم اوقاتي في ابحاثي الخاصة. فعندما يصبح الانسان مقعداً... عليه الاهتمام ببعض الأمور، وانا اعرف ان تاريخ المقاطعة اصبح من اهتمامي.»

سألت سابين: «هل لي ان اسأل ما هو موضوع ابحاثك؟»

هز كتفيه وقال: «الدور المحلي للحصون في الحروب انني احضّر كتاباً في هذا الموضوع.»

«لا اعتقد انني اعرف ما معنى الحصون.»

«كان هناك اكثر من اربعين بلدة بنيت في القرون الوسطى، بنى البعض منها الفرنسيون والبعض الآخر الانكليز، ومن خلالها كانوا يغزون بعضهم البعض، خاصة خلال حرب المئة عام بين البلدين. كانت فترة قاسية ووحشية، انت تعلمين ذلك، فيما بعد أي من القرن السادس عشر، التقى المتحاربون في ذات الليلة، لكنهم مروا امام بعضهم في الظلام بطريقة ما، وبالطبع وجد كل جيش نفسه وصل إلى مقاطعة الآخر بدون أي مقاومة، وما ان اطل الفجر، حتى بدا المتحاربون جميعهم اغبياء، وبذلك وقعا معاهدة على ان يعود كل فريق إلى أرضه.»

ضحكت سابين: «انها قصة جميلة، اتمنى لو ان كل الحروب تنتهي بهذه السهولة.» توقفت قليلاً لتقول: «هل مازال هناك أي من هذه الحصون في المنطقة؟»

«مونبازيي... انها الاجمل... وهي لا تبعد الا عدة كيلومترات من هنا، ان روهان سيذهب إلى هناك غداً... لديه بعض الاعمال المملة مع شركة التأمين، سيسعده ان تذهبي معه فهناك مطعم ممتاز يمكنكما تناول الغداء فيه.»

نظرت سابين إلى روهان المتجهم وقالت: «آه، من فضلك لا اريد ان ازعج احداً، فأنا استطيع ان اذهب بمفردي، حقاً..»

قال غاستون دو روشوفور بابتسامة واضحة وجميلة: «آه، لكنني أصر، ليس هناك من مشكلة، أليس كذلك، يا روهان؟»

قال روهان وقد فقد لونه من شدة الغضب: «ليس على الاطلاق.» واضعاً يديه في جيبي بنطاله ومستديراً.

قال غاستون بثقة: «هذا أمر منتهي، إذن إلى اللقاء، آنسة حتى مساء السبت.»

فكرت سابين، ما ان اصبحا في الحديقة تحت أشعة الشمس، هذا جنون، في لحظة يطلب مني الرحيل، في الثانية، هناك من يهتم بي، لكن عندما رآني للمرة الأولى كان ذلك مخيفاً... انا لا افهم شيئاً من كل ذلك.

نظرت إلى مرافقها، كان الضيق واضحاً على وجهه، قالت: «انني آسفة إذ قطعت لك عملك الآن خاصة عندما أردت التحدث عن استحداث مشاريعك.»

هز كتفيه: «لو لم تكوني موجودة، لكان وجد عذراً آخر صدقيني.»

تنهدت قبل ان تقول: «آه، كما انني لا اريد مرشداً سياحياً، ليس عليك اصطحابي إلى مونبازيي.»

قال ببرودة: «هذه هي أوامر السيد غاستون، ومن الافضل ان تنفذ. هذا يجعل الحياة اسهل.» اضاف بابتسامة خفيفة: «كما وانك من المحتمل ان تواجهي تحقيق كامل عن الحصن مساء السبت، سأمر إلى اصطحابك عند العاشرة غداً صباحاً.»

نظرت إلى الحدائق الجميلة حيث يمران: «لكن ألن تمانع انطوانيت؟»

نظر إليها نظرة مختصرة، وقال: «ولما عليها ذلك؟ فهي لا تهتم مطلقاً بالذهاب إلى مونبازيي، انها تنتمي قلباً وروحاً، إلى باريس.»

«آه.» هذا كل ما استطاعت قوله. سيكون ذلك زواجاً غريباً، اذ تعيش انطوانيت في باريس عاصمة الاناقة، بينما زوجها يهتم بأرضه في باريغورد، لكن اذا كان هذا ما يريدانه...

هذا لا يناسبني مطلقاً، فكرت سابين، اريد ان اكون دائماً معه، اعمل بجانبه طوال النهار، وامضي معه كل عمري.

نزلا من الشرفة عبر عدة درجات إلى مرجة تحيط بها احواض الزهور. رأت امامهما بستان تظلله الاشجار الكثيفة، لم تكن متأكدة تماماً انها تريد ان تشاهد تلك الطريق القصيرة بين الغابات، مع ان ايزابيل قد استعملتها عدة مرات، عندما كانت تعيش في ليه هيبو وتعمل في القصر، كان يبدو ان هناك نوافذ في كل مكان، كالعينين المفتوحتين، تحدقان بها، وتراقبانها في كل حركاتها.

قالت بتأثر: «انه مكان رائع الجمال هنا.»

تمكن روهان من السيطرة على غضبه ونظر فيما حوله: «نعم، اعتقد انه كذلك، لكن يبدو انني اصبحت كالاعمى بالنسبة لجماله، لم يكن هذا المكان من الأماكن التي شعرت فيها بالسعادة.» نظر اليها وتابع: «اخبريني شيئاً، هل أنت سعيدة لانك اتيت إلى هنا؟»

نظرت امامها وقالت: «انني لست سعيدة ولا آسفة، انه شيء شعرت حياله بضرورة الحضور.»

كانت تدرك بيأس احساسها به وهو بجانبها، تابعت: «مع انني اعترف انها لم تكن من التجارب المفرحة في حياتي.»

«وماذا كنت تتوقعين؟ رمي حجر من أعلى، وفجأة اصبح يكبر ويكبر حتى اصبح كالزلازل.» هز كتفيه بغضب: «حسناً، لقد حدث الأمر، ولا يمكن ان نعيد الأمور إلى ما كانت عليه.»

ضحكت بنعومة: «تجعلني ابدو وكانني نوع من مصيبة طبيعية.»

«ربما لانني اراك هكذا، وكانك عاصفة مدمرة تأتي في الصيف بدون أي انذار فتضرب المحصول كله، في لحظة واحدة تكون السماء صافية وواضحة... بعدها وفي الأفق البعيد، غيمة صغيرة عادية، وبعد ذلك... يتعرض كل شيء إلى الانهيار.»

وصلا إلى الغابة الآن، كان هناك ممر واضح، لكن كان عليها الانتباه إلى اين تضع قدميها.

قالت بصوت أجش: «لم آت إلى هنا لأسبب الانهيار أو كي

اقوم بأي نوع من هذه الأمور، مهما كان تفكيرك أو ما تعتقد به عن والدتي، يجب ان تفهم ذلك.»

«ربما لم ترد ايزابيل أيضاً ذلك، لكن ذلك ما حدث، قد تكون من النوع الذي يترك الدمار وراءها أو إلى أي مكان تذهب اليه.»

قالت بغضب: «وانا ابنتها، اذاً من الطبيعي ان اكون مثلها، حسناً، انها لم تعذب أي قلب في انكلترا، ولا انا أيضاً... ابداً، كما لم اقصد ان اسبب المشاكل هنا أيضاً.» رفعت نظرها إلى اوراق الاشجار اليانعة، وتابعت: «في الحقيقة لو انني علمت مدى تأثير وجودي هنا لما اتيت. ربما كنت بقيت بعيدة، انا فقط... لم اعلم ذلك.»

توقف روهان عن متابعة السير، امسك بذراعها، وادارها بقوة لتواجهه. قال غاضباً: «اذن لماذا اتيت؟ انت لا تريدين المال، لا يعقل ان يكون الأمر مجرد فضول فقط، انك مصممة جداً... متشبثة برأيك في ذلك، ما الأمر... هل هناك حقيقة تبحثين عنها؟»

شعرت سابين بألم في حلقها: «لقد... اتيت لابحث عن والدي الحقيقي.»

سادت فترة من الصمت الطويل بينهما، بعدها قال بقلق: «هل تقولين ان ايزابيل كانت حامل... وانها كانت تتوقع طفلاً من فابيان عندما رحلت بعيداً؟» هزت سابين رأسها.

ضرب بقبضته يده الأخرى: «لكن هذا لا معنى له، كان فابيان يحبها، وكانا سيتزوجان في غضون عدة اسابيع،

وسينجبان العديد من الاطفال بعد الزواج، فلا احد سيهتم لذلك، لماذا تركته ورحلت اذن؟»

«هذا ما اسأل نفسي به... لأنها لم تغادر فقط، لقد اختبات في انكلترا، ولم تعد ثانية.»

«ماذا تقصدين؟ انها كانت تخاف من شيء ما... خائفة من زوج والدتي، ربما؟» هز رأسه نافياً: «هذا مستحيل، لقد تزوج والدتي عندما كنت في الثانية من عمري فقط، لم اسمعه يوماً يرفع صوته بوجهها، وقد حزن كثيراً عليها عندما ماتت، تعرف الاطفال هذه الاشياء... لديهم احساس طبيعي في هذه الأمور... انهم يرون ما يجري في الحقيقة تحت المظاهر الخادعة.»

سألت سابين بمرارة: «هل حقاً يفعلون؟ لقد كنت عمياء تماماً، لم اشك يوماً بشيء ما، مع ان والدي المزعوم كان يبعدني دائماً عنه.»

ضمت ذراعيها إلى جسمها وتابعت: «كل مرة كنت اناديه والدي، كان كمن يضع سكيناً حاداً على جرح نازف.» تابعت بحزن: «لقد حاولت ان اخفف عنه فقدانه لوالدتي لكن لم يكن هناك من فائدة، لقد اعتقدت انني... لو وجدت والدي الحقيقي سيكون الأمر مختلفاً بطريقة ما، فقد يريدني...»

اختفى صوتها فجأة، وبغصة ناعمة ضمها روهان اليه وقال متمتماً: «اهدئي الآن، لا بأس كل شيء سيسير على ما يرام.»

شعرت سابين بالامان، لكنها قالت لنفسها هذا أمر خطر، لكن قلبها اجاب هذا ما خلقت لأجله. احست فجأة

ان صوت العصافير توقف فجأة، تبعه حركة خفيفة للاشجار.

مع انه لم يكن هناك أي ريح فالهدوء كان مسيطراً حتى صوت الصرصار قد توقف أيضاً.

في كل ذلك الصمت سمعت همسة ليست اكثر من همسة «ابنة ايزابيل.»

www.elromancia.com

الفصل السادس

ابتعدت سابين عنه بسرعة، وهي تدير رأسها بسرعة نحو الصوت.

«ما الأمر؟» لكنها سارت خطوة، لتحدق حولها.

قالت: «لقد سمعت شيئاً ما... احداً ما... لا اعرف.»

اصغى هو أيضاً، بعدها هز رأسه: «لا يوجد شيء.»

قالت بصوت أجش: «ليس الآن، لكن توقفت الطيور عن التغريد فجأة كان هناك.. لا بد من وجود... شخص ما بين تلك الاشجار هناك.»

رفع روهان حاجبيه: «ليس من داعٍ للقيام بمثل هذه الالعاب.»

«انها ليست لعبة، لقد سمعت همساً، على الأقل، اعتقدت ذلك.»

نظر روهان اليها، بعدها سار نحو الاشجار المكتظة التي اشارت اليها: «ليس هناك من وجود أحد ما الآن.» عاد إلى قربها متجهماً: «لا ابد ان مخيلتك قد قامت بذلك، ام ان هذه طريقتك للابتعاد.»

احمر وجهها من الغضب: «لا، ومن فضلك لا تتكلم هكذا.»

قال: «انا لا افعل، ماذا كنت تعتقدين؟ اعطني بعض الأهمية والحيلة اكثر من ذلك.»

شعرت سابين بالارتباك، لقد احست بأمان العالم كله بين يديه وهو لا يجد اكثر من كلمة خداع وحيلة ليصفه.

توقفت فجأة عندما ظهرت لها الحقيقة... انه لا يعرف ابداً ما تشعر به نحوه، فكرت وهي تشعر بالرعب انني احبه ومعجبة به ولو لم اسمع تلك الهمسة، فقد نسيت انه سيتزوج في غضون اسابيع.

احست بألم عميق في معدتها عندما ادركت باية مصيبة اوقعت نفسها، كيف يمكن ان تقع بحبه هكذا. سيحدث لها كما حدث لوالدتها من قبل، قد ينتهي بها الأمر انها ستعود إلى انكلترا بمفردها.

حسناً، يمكنها ان تتخلص من حبه، لا يعقل ان يكون هذا حباً، لقد حدث ذلك بسرعة جنونية، انه مجرد احساس غريب، ويمكنها السيطرة عليه، قالت لنفسها بقساوة، قد تكون انطوانيت قد لحقت بهما لكنها رفضت التفكير بذلك.

ربما لم يكن هناك احد، بكل الاحوال، ربما هو الصوت الذي سمعته كان صوت ضميرها.

قال روهان بلطف: «كم اصبحت شاحبة، لا بد انك تعرضت لصدمة، اليس كذلك؟ انك حقاً تعتقدين انه كان هناك من يتجسس علينا.»

قالت بحدة: «الشيء الوحيد الذي يصدمني هو غبائي، لا اصدق انني اقف هنا اتحدث معك هكذا.»

قال بهدوء: «لا اعتقد انك منزعجة بوجودي.»

«انني عائدة إلى البيت بمفردي.»

ضحك وهو يقول: «تتهربين؟ ابنة ايزابيل.»

كان قوله لها بمثابة لكمة على معدتها، علمت بكل تأكيد انها لم تكن تتخيل ما سمعته، وانها في خلال عدة دقائق سمعت هذه الكلمات بالتحديد مرتين على التوالي.

قالت بصوت مخنوق: «لا... لا تقل ذلك.»

ضاقت عيناه وتقدم خطوة نحوها: «ما الأمر؟ ماذا يحدث؟»

تراجعت سابين إلى الوراء وقالت: «فقط دعني وشأني.»

قال ببرودة: «كما تشائين.» واشار بيده عبر الاشجار «اذا اتبعت هذا الممر، ستصلين إلى المزرعة.» استدار ليتابع سيره، لكنه توقف فجأة، ونظر اليها من فوق كتفه. «واذا اردت استعمال هذا الممر دائماً ارتدي احذية واقية، لأنه يوجد افاعي في باريغورد.»

قالت بعد مغادرته: «بما فيهم الاشخاص.»

راقبت ابتعاده وهي تقف مكانها، محاولة ان تتنفس بعمق لفترة. شعرت وكأنها بحاجة لتتمسك بأحدى الاشجار وتبكي كطفلة صغيرة.

عندما توقفت قدماها عن الارتجاف، عاودت السير ثانية، ادركت بقلق ان وراء كل شجرة يسمع اصوات غريبة، وتساءلت اذا كانت هذه الاصوات هي للافاعي ام لحيوانات اشد خطورة.

شعرت بالخجل بما احست به بين ذراعي روهان، كيف يمكنها ان تشعر بذلك وهو رجل مرتبط، عليها ان تراقب نفسها، لأنها لن تحصل الا على الألم لنفسها.

كان من المحتمل ان تزور مونبازيي معه غداً، لا تعتقد ان تلك الرحلة مازالت قائمة، ومما لا شك انه في الصباح سيرسل لها بطاقة اعتذار، وهذا ما سيحدث مع انها ستلقاه ثانية مساء السبت في موعد العشاء، هذا ما ذكرت به نفسها. يمكنها ان تتفادى كل ذلك، بقطع رحلتها والعودة

إلى انكلترا، كان هناك احتمال قوي للقيام بذلك بكل نفس تأخذه، بكل الاحوال، لقد اصبحت تعرف بشكل مقنع من هو والدها، ومن الافضل لها ان تقتنع بذلك بدلاً من البقاء هنا، معرضة نفسها لتحطيم قلبها.

عندما وصلت إلى نهاية الممر، اعتقدت ان الطريق التي توصلها إلى المزرعة هي امامها مباشرة، لكن نظرة واحدة إلى اليسار جعلتها ترى مبنى حجري من خلال الاشجار، اعتقدت ان ذلك لا بد انه البرج الاسطوري، لا بد انه عمل جنوني، لكنها لم تستطع مقاومة القاء نظرة عن قرب له.

كانت الاعشاب تغطي معظم الطريق اليه، وكان عليها ان تدفع الاشواك من امامها كي تصل. لقد وجدت البرج، يقف عالياً في منتصف الساحة، وقد انهار سقفه كلياً، تاركا بعض معالمه واضحة فقط للرؤيا، لكن معظم جدرانه ما زالت جيدة.

كان من الممكن الوصول اليه عبر بوابة مغلقة من الخشب، لكنها ليست مقفلة بالسلاسل، ربما هذه هي اوامر السيد غاستون كي لا يدخل احد إلى البرج.

سارت عبر المدخل، لم تجد قضبان من حديد على النافذة، لكن شجرة ورد في اوج زهورها قد نمت على احد الجدران، ربما هي من بذور الوردة القديمة التي رمتها زوجة دو روشوفور منذ اجيال عدة إلى حبيبها.

ما زالت سابين تجد عدم ترميم البرج واستغلاله لتقوية اعمال العائلة أمر غريب، ترى بوضوح انه من السهل اصلاحه، والعمل على جعله يجذب الزوار، وذلك بوضع

مخطوطات تدل على صحة وقائع القصة... على الاقل تلك القصة ذات النهاية السعيدة.. وتقديم وردة لكل سيدة تزور البرج.

آه، هناك الكثير من الأمور التي تجعل من هذه الزيارة أمر لا ينسى، وبالتاكيد مع حب غاستون دورشوفور للتاريخ فهو يعلم ذلك بوضوح.

أمسكت بمسكة الباب الحديدية وادارتها بحذر، ماذا لو سقط حجر الآن على رأسها وجرحها، سيفيدها كثيراً الدخول عنوة إلى هذا المكان. فكرت بقلق، وهي تسمع صرير الباب يفتح ببطء وبصعوبة.

كانت الغرفة مليئة بخيوط العنكبوت، والهواء مليء بالغبار والعفونة، وقليل من الضوء ينساب عبر شقوق النوافذ العالية، كما ان هناك اثار لحيوانات صغيرة، ربما الفئران، كان الجو بمعظمه لا يحتمل.

لكن من الواضح ان البرج كان يستعمل في الماضي، فلقد رأت صوفا كبيرة، ممزق معظم القماش الذي يغطيها، موضوعة في وسط الغرفة، طاولة صغيرة ذات رجل مكسورة وضعت بجانبها، وخزانة مفتوحة الادراج.

فكرت سابين ربما كان البرج يستعمل للنزهات، لكن لماذا توقفوا عن استعماله؟ شعرت برجفة تسري في جسمها، فهي تعلم السبب، تفهم تماماً لماذا لم يعد احد يأتي إلى هنا، كان هناك جو من الحزن يسيطر في الغرفة، احساس بالقهر والاحباط، لم تستطع مرور السنين من الهجران والاهمال على القضاء عليه. انه يظهر على الجدران ومن خلال كل الزوايا، انها تؤمن حقاً ان الزوج

المخدوع قد قام بانتقامه الرهيب منذ قرون مضت، لا يعقل ان يوجد هنا نهايات سعيدة.

نظرت إلى الدرج الضيق الذي يوصل إلى الطابق العلوي، وعلمت انه لا يعقل ان يدخل احد من هناك، اسرعت بالخروج من الباب، واغلقته باحكام ثانية، كان البرج مكاناً مزعجاً، لكن كل لا تور مونشوزيت كذلك، هناك الكثير من الامور المحزنة تغلف الماضي، وما زالت تسيطر على الحاضر، يمكنها ان تفهم تماماً لماذا ايزابيل اختارت البقاء في ليه هيبو.

ما ان عادت لتسير عبر الحقول، حتى وجدت نفسها تسرع اكثر واكثر. احساسها بالهروب، وعدم النظر إلى ورائها، كان قوياً وكان هناك يداً تدفعها إلى الامام، وعندما وصلت إلى الممر الذي يوصل إلى المزرعة بدأت بالركض.

كانت قد فقدت انفاسها عندما وصلت إلى المزرعة، وعلى صوت وقع اقدامها، اخذ كلب صغير ينبح لقدومها، فاطلت امرأة من المزرعة، تضع يدها على جبهتها لترى من انعكاس نور الشمس القوي.

كانت سمراء البشرة، صغيرة الجسم ونحيلة، استقبلت سابين بابتسامة مرحبة عندما وصلت إلى جانبها.

مدت يدها قائلة: «آنسة راسيل، لا بد انك انت... لكن ليس من الحكمة الركض هكذا في هذا الطقس الحار. أنا مونيك لافو، لقد وصلتني رسالة عاجلة من ابنة اخي ماري كريستين تقول فيها انك تعيشين في ليه هيبو، بدون مقاعد أو حتى اكثر الضروريات للعيش.»

ابتسمت سابين لها وقالت: «انه كلام مبالغ فيه قليلاً، ولقد قررت بملأ اختياري ان ابقى هناك، في حين كان يمكنني الذهاب إلى فندق ما بالجوار، هذا لا يجلب لي الشهرة في هذا المكان.»

«لا يمكنني التأكيد على ذلك.» وانحنت لتلتقط الكلب الصغير وتحمله بين ذراعيها، نظرت إلى سابين بحزن ظاهر، وتابعت: «انا ووالدتك كنا صديقتين منذ ايام الدراسة، وللحظة... بينما كنت تركضين عبر الحقول...» توقفت: «رؤيتك هنا بمفردك... سبب الحزن لي، لقد اعتقدت... كنا دائماً نؤمن أنا وفابيان... ان ايزابيل لا بد ان تعود يوماً ما.»

تنهدت وهي تتابع: «ادخلي وتناولي عصيراً معي. لقد انتهيت للتو من تحضير الليموناضة... وعندها سنتحدث عن المفروشات. انها في مخزن في مونبازيي لكنني احضرت لك اغطية للسرير، مناشف... اشياء كهذه لتتمكني من استعمالها في الوقت الحاضر.»

تبعتها سابين إلى الشرفة وهي تقول: «هذا لطف زائد منك.»

جلست على احدى المقاعد الوثيرة التي قدمتها لها مضيفتها، وضعت مونيك لافو الكلب عند قدميها ودخلت إلى المنزل، عادت على الفور، وهي تحمل ابريقاً طويلاً مليئاً بالثلج والليموناضة، مع كوبين كبيرين. قالت سابين، بعد ان سكبت الليموناضة: «قالت ابنة اخيك انك في باريس.»

«نعم، لكنني اعتبر الأمر كالعقوبة، فأنا لا احب الحياة

في المدن، حتى في مدينة جميلة كباريس، انني دائماً اشعر بالسعادة اكثر في بيتي هنا في باريغورد.»

قالت سابين وهي تنظر حولها: «يمكنني ان افهم ذلك.»

هزت مونيك رأسها باقتناع: «انت تشعرين بذلك أيضاً، ليس هناك من عجب، فهذا المكان فريد من نوعه، لديه كل المقومات ليبقى مزدهراً.» ابتسمت لسابين وهي تتابع: «لقد سمعت بالطبع، عن المغاور الشهيرة في لاسكو.»

«لقد سمعت بهم. لكن اليست مقفلة الآن على الزوار؟»

«آه، نعم، لأنها بحاجة إلى ديكور جديد وطلاء. فقط يسمح للمهندسين والعمال الدخول في الوقت الحاضر، وفي اعداد قليلة جداً، لكن اذا اردت رؤية كهف حقيقي فالاجمل في ليه إيزيه، انه مدهش تماماً.»

قالت سابين معترفة: «لم اشاهد بعد أي شيء، لكن عليّ القيام بذلك قبل العودة...» كانت تريد القول إلى وطني لكنها قالت «ثانية» عوضاً عنها.

قالت الآنسة لافو وهي تحدق بها: «هل ستعودين إلى انكلترا بهذه السرعة؟ لكنك وصلت للتو، وماذا تريدين العمل بشأن المنزل؟»

«لم افكر بالأمر للحظة، ففكرة وجوده كانت صدمة كافية لي.»

واخبرتها باختصار عن كل الحوادث التي دفعتها للقدوم إلى فرنسا، حاذفة، في الوقت الحالي، أي تساؤل حول والدها.

قالت اخيراً: «اريد ان اعلم لماذا ابقت والدتي ماضيها سراً، لكن كل ما فعلته هو انني تحدثت مع كل شخص اقابله..

حتى انت.» توقفت لتسأل: «هل... هل أنت تدينين تصرفها أيضاً لأنها رحلت هكذا؟»

قالت مونيك لافو ببطء: «لا، لكنني كنت اتمنى لو انها قالت لي ما هي تلك الاسباب التي دفعتها للرحيل، ربما كنت تمكنت من مساعدتها، كنت سعيدة جداً انها وفابيان قد التقيا ثانية مع انه كان هناك الكثير من الصعوبات، وبدا على ايزابيل انها اصبحت راضية في النهاية.» تنهدت قبل ان تتابع: «لكن عندما سافرَ فابيان إلى كاليفورنيا تغيرت، اصبحت متوترة قلقة، وكانها خائفة من شيء ما.»

هزت كتفيها: «لم افكر سوى انها قررت عدم الزواج من فابيان في نهاية الأمر، وانها لا تستطيع ان تخبره بذلك بنفسها، لكنه كان متفهماً جداً... لطيفاً جداً، ما كان ليغضب منها أو يلقي اللوم عليها، لكن ليعود ويجد انها ذهبت، بدون أية كلمة، وبدون أي أثر كان أمراً مدمراً له.»

«هل حاول ان يبحث عنها؟»

«كان مريضاً وبعد شجاره مع عائلته، تعرض لانهيار عصبي، جعله يمضي عدة شهور في عيادة خاصة في بوردو للعلاج، وعندما عاد كان مختلفاً، وكان فابيان القديم قد مات، ورجل جديد يعيش في جسده، يتظاهر انه هو، لكن بدون حياة أو روح.»

«لماذا اختلف مع عائلته؟ يعتقد المرء ان عليهم الالتفاف حوله... وتقديم المساعدة له.»

اصبح صوت مونيك قاسياً فجأة: «على العكس، اعتقد انهم تصرفوا وكانهم تعرضوا إلى خسارة مادية... اتهموا

ايزابيل بأمور كثيرة، وتبادلوا كلمات لا تقال واشياء أخرى لا تنسى.»

«هذا هو السبب، بالطبع، انه عندما عاد من العيادة، اتى ليعيش بمفرده في ليه هيبو، كان يقول: «اذا عادت ايزابيل، يجب ألا تجد بيتها فارغاً وبدون حب.» عضت على شفتها ولمعت عيناها بالدموع.

تابعت بعد لحظة: «اصبح القصر غير موجود بالنسبة له، استمر بالذهاب اليه عندما كانت والدته على قيد الحياة، لكن لا اعتقد انه وغاستون قد تكلما مع بعضهما ثانية.»

تنهدت سابين وقالت: «لكنني تكلمت مع غاستون من قبل، كذلك مع السيدة دو روشوفور، لم يتحدثا ابداً عن شق في العائلة.»

«من الطبيعي، انهما لم يفعلا ذلك، انه أمر صعب عليهما، لقد اعتقدت انه ربما بعد الحادث المروع الذي تعرض له غاستون، ان الأمور ستهدأ، وسيكون هناك نوع من المصالحة، لكنني كنت مخطئة، فقد كان فابيان قاسياً كالصخر.

كما انه فقد روهان، بسبب مرضه، الذي عاد ليعيش مع جده في آرينسي، كانت هذه صدمة ثانية له، فلقد كان هو والصبي يحبان بعضهما كثيراً، لذلك صب كل اهتمامه على الاعتناء بالأرض والكرمة، لقد شغل مكان هيرقل ريكارد وافنى حياته في تحسين العمل واعلاء اسم انتاج لاتور مونشوزيت، كان لديه احساس مرهف بالنسبة للارض والطقس كان يترك المحصول على الاغصان اطول فترة ممكنة... احياناً حتى اواخر تشرين الأول (اكتوبر)... ومع ذلك لم يفقد أي موسم بسبب الصقيع.»

هزت سابين رأسها: «حسناً، يسعدني ان هناك شيء ما كان يسعده، وكان سلسلة من الخيبات واليأس قد مرت بها العائلة.»

ابتسمت مونيك لافو: «اعتقد ان الأمر يبدو هكذا.» ترددت قبل ان تتابع: «لكن في الحقيقة، بعد رحيل ايزابيل، بدا وكأن العائلة قد اصيبت بلعنة ما.» ضحكت وتابعت: «لكن هذا مجرد خيال.»

تذكرت سابين البرج والظلال التي تحيط به، تساءلت وهي تحاول ان تجعل صوتها عادياً: «متى عاد روهان... السيد سانت إيف من آرينسي للعيش هنا؟»

«عندما ساءت صحة زوج والدته كثيراً، اراد فابيان ان يعتني شخص بالكروم لديه ذات الاهداف مثله، ويكمل ذات الطريقة التي يتبعها، كان روهان الاختيار الوحيد، مع ان جده وافق على مضض، على ما اعتقد.» هزت آنسة لافو رأسها: «لكن لم يكن عمله سهلاً ابداً.»

اصرت على ان تساعد سابين في نقل رزمة كانت قد اعدتها لها لتأخذها معها إلى ليه هيبو وقفت في الصالون تنظر حولها بأسى: «من المؤسف رؤية كل هذا الفراغ، بعدما اتذكر كيف كان سابقاً.»

توقفت قليلاً لتضيف: «انه بيت يحتاج لمن يعيش فيه ويحبه، هل فكرت ماذا ستفعلين به؟ هل ستقيمين هنا في فرنسا؟»

«لا اعتقد انني سأتمكن من ذلك... وخاصة الآن، فانا اعمل مترجمة، وعليّ ان اجد أي فرص تقدم لي للبقاء هنا قبل ان اقرر.»

«حسناً، إذن، هل تفكرين في تأجير المنزل لفترات قصيرة؟ هناك دائماً زوار يسألون عن بيوت للايجار لعطلة قصيرة.»

اعترفت سابين: «لم افكر بهذا مطلقاً، لكن قد يكون ذلك حلاً.» نظرت حولها «عليّ الاعتراف انني لا اريد ان أبيعه، ليس الآن على كل حال، خاصة انني عرفت بأمره منذ فترة قصيرة.»

«بالطبع لا.» ابتسمت مونيك لها متفهمة، بعدها قالت بجدية: «مهما يكن، اذا رغبت في بيعه فأنا اعمل وكيلة في المنطقة، ويمكنني المساعدة، لكن اعتقد ان عليك الذهاب إلى مخزن المفروشات قبل ان تصلي إلى أي قرار، بعض قطع الاثاث تعود إلى عائلة هيرقل، وهي قديمة جداً.»

اخرجت بطاقة عمل من حقيبتها، وكتبت عنواناً على ظهرها، وتابعت: «تكلمي مع السيد بالون، وهو سيهتم بالأمر.»

اخذت سابين البطاقة، وقالت: «هل مر وقت طويل على وضع المفروشات في المخزن؟ هل هناك حساب علي ان ادفعه؟»

«لا، لا، كل ذلك دفع من قبل اموال فابيان، كذلك ضرائب الماء والكهرباء، كل شيء يجب ان يصان ويبقى كما هو... ليوم قدوم ايزابيل إلى ليه هيبو، هذه كانت أوامره.»

لمعت عينا سابين: «هذا عمل رائع من قبله.»

ابتسمت مونيك لافو، وقالت: «آه، انه هو شخص رائع.»

ادركت سابين، انها كانت تحبه من الألم الخفي في

عينيها، ومن المحتمل انه لم يعرف ذلك ابداً، قالت متأثرة: «اتمنى لو انني تمكنت من التعرف عليه.»

ربتت الآنسة لافو على كتف سابين، بعدها نظرت إلى ساعتها وقالت: «هل هناك شيء ما استطيع مساعدتك به بعد؟ لا؟ اذن عليّ الذهاب، اذا لم يكن لديك أي ارتباط لمساء الغد، ربما ترغبين في العشاء معنا.» ابتسمت بفرح لقبول سابين الدعوة، وعادت على الفور إلى المزرعة.

وضعت سابين دجاجاً على النار كي تطبخه للعشاء، بعدها رتبت سريرها، انه أمر جيد النوم في سرير حقيقي الليلة.

لكن عندما ذهبت إلى السرير لتنام وجدت نفسها قلقة ومضطربة. كان جسدها متعباً وفكرها يدور ويدور، محاولاً تحليل ما رأت وما سمعت به في ذلك النهار الطويل، واكثر ما كانت تفكر به هو روهان سانت ايف.

اكد لها الحزن الخفي في عيني مونيك لافو ان لا مستقبل لها في التعلق برجل هو مرتبط بامرأة أخرى.

قالت لنفسها بمرارة ما كان عليّ السماح له بالاقتراب مني، فانني مجرد حمقاء واكثر من حمقاء، فحتى لو لم تكن انطوانيت موجودة فان روهان لن يتعلق بي... على الاقل ليس جدياً، بالنسبة له، انني ابنة والدتي، غير آهلة للثقة والاحترام.

اذن اهم ما عليها القيام به هو تجاهل عاطفتها الخائنة وتجنب رفقة روهان من الآن وصاعداً، اضافة إلى أمر آخر لن تنتظر منه ان يلغي رحلتهما إلى مونبازيي، ستفعل ذلك اولاً، في الصباح ستطلب من ماري كريستين ان توصل له

ملاحظة، تقول له فيها ان لديها اعمالاً أخرى، ستغادر باكراً إلى ليه إيزيه كما اقترحت عليها الآنسة لافو، أو ربما ستذهب إلى لاروك غاجيك، التي توصف على انها اجمل قرية في فرنسا كلها. من المحتمل انها لن تتمكن من الغاء العشاء في القصر، لكن على الاقل لن تكون بمفردها معه، اخذت كتابة تلك الملاحظة الكثير من الوقت.

في صباح اليوم التالي وهي تتناول فنجان قهوتها، فكرت انها لا تريد ان تبدو فظة، فقط حازمة وان تفهمه بأنها لا ترغب برفقته.

ارتدت تنورة صفراء ضيقة، تصل إلى ركبتيها، وقميصاً تلائمها، فكرت انه ربما الكهوف ستكون بادرة، حملت سترة قطنية صفراء وبيضاء اللون على ذراعها، والتقطت حقيبتها والكاميرا وسارت إلى السيارة.

ستصل أولاً إلى المزرعة، وبعدها ستحصل على حريتها، هذا ما كانت تكلم نفسها به، وهي تسير نحو المدخل.

«صباح الخير.» كان يتكىء براحة على سيارتها، ويبدو انه سعيد جداً في ذلك الصباح المشمس «اليس هذا النهار رائعاً؟»

«لا، اعني... ماذا تفعل هنا؟»

«شيء ما اخبرني انك ربما ترغبين في الذهاب قبل الموعد الذي اتفقنا عليه.» نظر اليها باعجاب واضح وهو يتابع: «وأرى انني على صواب.»

عضت سابين على شفتها وقالت: «في الحقيقة لقد قررت ان اترك أمر الذهاب إلى مونبازيي ليوم آخر، لديك عمل عليك الاهتمام به... وسأعيق عليك القيام بذلك.»

قال: «اذن بامكان عملي ان ينتظر أيضاً، اين تودين الذهاب عوضاً عن ذلك؟»

ساد الصمت لفترة قصيرة، بعدها قالت بصعوبة: «انك لا تجعل الأمر سهلاً علي.»

هز كتفيه قائلاً: «لدينا موعد، وانت تحاولين التخلص مني، لما عليّ ان اجعل الأمر سهلاً لذلك؟» تابع بهدوء: «سابين، انني احاول ان اعوض عن كل شيء حدث سابقاً، احب كثيراً ان امضي النهار معك، ارجوك، فقط عدة ساعات معاً نتنزه في الحصن ونتناول الغداء معاً، لا شيء اكثر، اعدك بذلك.»

ابتسم ابتسامة حارة كالشمس، وقال مكرراً: «ارجوك.» شعرت بضعف جميل يسيطر عليها، اخذت يداها ترتجفان، انه تصرف جنوني، عمل خطر الذهاب معه، وهي تعلم ذلك، يجب عليها الابتعاد عنه.

امسكت بالورقة التي كتبتها وقالت: «لقد كتبت لك رسالة للاعتذار عن الموعد.»

«اعتقدت انك ستفعلين ذلك.» اخذ الورقة منها، مزقها ورماها في الهواء بعيداً، نظر اليها بتحدٍ: «الآن، اخبريني بنفسك انك لا تريدين الذهاب معي.»

ملأ صوت خفقات قلبها الصمت السائد بينهما، حاولت جاهدة ان تجد الكلمات التي تبعده عنها إلى الأبد، لكنها لم تجد ولا كلمة، قالت وهي تتنهد: «لا... لا استطيع قول ذلك.»

«إذن دعينا لا نضيع المزيد من الوقت.» سار نحو سيارته، الذي كان قد اوقفها بالقرب من منزلها وفتح الباب

المواجه لها، قال بنعومة: «اننا سنمضي هذا النهار معاً.» بينما كانت تصعد إلى السيارة منتبهة كي لا تلمسه: «هذا كل شيء.»

فكرت سابين، وهذه هي المشكلة، حدقت بثبات امامها ما ان انطلقت السيارة بهما، انه.. بالنسبة اليه مجرد نهار، لكن بالنسبة إليها... شعرت برجفة تسري في جسمها، بالنسبة إليها، كان اليوم الأول من ايام باقي حياتها التي ستمضيها... وحيدة.

www.elromancia.com

الفصل السابع

سارا في الطريق التي توصل إلى مونبازيي من الجهة الجنوبية، كانت رحلة سريعة، ومرت تقريباً بصمت كامل مع ان روهان اشار إلى مدخل قصر دوبيرون، ما ان مرا امامه بسرعة.

اخبرها ان القصر مر عبر مراحل عدة منذ اعادة بنائه بعد رحيل آل دوردونيو.

اضاف قائلاً: «انها عملية دائمة، كل جيل من عائلة غونتو بيرون اضاف شيئاً ما على البناء منذ ان بني للمرة الأولى في القرن الثاني عشر، ويوجد الآن خمسة عشر بناء مختلفاً من ضمنها المطعم الفرنسي المشهور.»

قالت: «عليّ ان اضيف اسمه إلى القائمة التي سأمر بها قبل المغادرة، مع انني اشك انني سأحظى بالوقت الكافي للقيام بكل ذلك.»

قال بطريقة عادية: «كم تودين البقاء هنا؟» وهو لايزال ينظر إلى الطريق امامه.

قالت بعد تردد قصير: «لم اقرر بعد.»

«لديك عمل بالطبع.» توقف قليلاً قبل ان يتابع: «حياة تودين العودة اليها في انكلترا؟»

ردت بسرعة: «بالطبع ذلك.» ادركت انه يحاول ان يعرف ان كان لديها خطيب في حياتها، حسناً يمكنه ان يفكر بذلك. «ماذا تعملين؟»

«انني اعمل مترجمة... ليس فقط للغة الفرنسية، بل أيضاً للاسبانية والايطالية أيضاً، كما انني اجيد قليلاً من اللغة البرتغالية، مع انني اعمل بدون دوام، ذلك ان معظم اعمالي تتعلق بوكالات مختلفة.»

«هل تؤمن لك حياة لائقة؟»

هزت كتفيها: «انا لا اتذمر.»

«أليس لديك طموح للعمل في اماكن هامة... في بروكسل مثلاً أو ستراسبورغ؟»

«لقد فكرت في ذلك لكنني افضل الحصول على مزيد من الخبرة أولاً. أو انني سأحصل على اجازة تعليمية... وربما سأنشىء مدرسة خاصة لتعلم اللغة التجارية.» ارادت ان تبدو امامه مليئة بالحماس والرغبة في العمل، تابعت بفرح: «الآن بعد الانفتاح الأوروبي، اصبحت حدود الانسان السماء.»

صعدا على تلة شديدة الانحدار ليصلا إلى مونبازيي اوقف روهان السيارة تحت الاشجار بجانب الحائط الرئيسي، بعدها سارا معاً تحت بوابة كبيرة تحيط بها اشجار وارفة الظلال. مرا امام بيوت عالية، اغلقت نوافذها باحكام من أشعة الشمس القوية، وتداخلت الدكاكين بين البيوت.

رأت سابين باباً من الحجارة امامها، فنظرت باهتمام إلى الباحة الداخلية منه لتجد حديقة، كانها زينت بالجواهر داخل حجارتها الرمادية اللون، رأت الأزهار منتشرة في كل مكان على النوافذ وفي الاحواض وسمعت الموسيقى تعزف بنعومة من عدة اماكن.

قال روهان: «بنيت كل الحصون على شكل شبكة، تتقاطع

شوارعها عند زوايا ممددة، وذلك لاجل اسباب دفاعية، اذ يسهل الاتصال بالجميع عند الحالات الطارئة.

في الواقع بنيت مونبازيي في عهد ملك بريطانيا، ادوارد الأول، وما زال احد فنادقها يحمل اسمه.»

رفعت سابين حاجبيها باستغراب: «ولماذا قام بذلك؟ من المؤكد ان الانكليز والفرنسيين كانوا في حرب طاحنة في تلك الأيام.»

«كل الساحل الجنوبي يعود إلى السلطة البريطانية، وذلك بسبب الدوقة الكبيرة الينور، لقد كانت ملكة فرنسا من اكثر النساء جمالاً وذكاء في اوروبا كلها، لكنها لم تكن سعيدة مع زوجها، وقد تعلقت بالملك هنري الثاني، الذي كان يصغرها سناً.»

قلبت سابين شفتيها وهي تضحك: «اعتقد انها قصة مسلية، وما الذي حدث؟»

قال بشيء من الاستهجان: «ألم تدرسي التاريخ عندما كنت في المدرسة؟»

«بالطبع، لكن يبدو اننا كنا نتعلم الأمور الاقتصادية للثورة الصناعية واشياء كهذه، فقصص الحب للملوك والملكات لا بد انها مشوقة اكثر.»

ضحك وقال: «اصدق ذلك. حسناً، تطلقت الينور من الملك لويس، الذي كان لديه اهتماماته الخاصة، وتزوجت من هنري، الذي اصبح بذلك دوق الساحل الجنوبي أيضاً مع انه هو وابنه ريتشارد كور دو ليون أمضيا حياتهما في الصراع للحصول على هذا اللقب، كذلك ادوارد الأول أيضاً عندما اصبح ملكاً لانكلترا.

كانت الينور تحب كثيراً باريغورد، ولقد انشأت فيها قصوراً من الجمال للفرح والحب، حيث تعيش النساء بسعادة.»

قالت سابين: «وهي كانت رئيسة عليهن جميعاً، كما اعتقد.»

«بالطبع، لقد غنى لها مرة احد اشهر الشعراء الموسيقيين انه لو كان يملك العالم كله لتخلى عنه من اجل عينيها.»

قالت ببطء: «كم هو جميل ان يحظى المرء بهذا الحب.»

نظر اليها باهتمام: «انت لا تعتقدين ان الرجل قد يشعر بهذا الحب كله للمرأة هذه الايام؟»

هزت كتفيها: «سيكون جميلاً لو وجد كل هذا الحب، لكنني اشك بذلك.»

قال بنعومة: «لكن هنا في ارض الشعراء الموسيقيين، كل شيء ممكن.» لتتجنب نظرته اليها، غيرت سابين انتباهها إلى المبنى المجاور وقالت: «اعتقد ان هذا هو المعبد الرئيسي، انه رائع.»

قال بلهجة مؤكداً لها انه ادرك تماماً تغيرها للموضوع: «وهو أيضاً قديم جداً، لقد بني في القرن الثالث عشر، وهناك مخطوطات شهيرة فوق الباب.»

حدقت سابين بالاحرف المنقوشة على الباب الحجري: «يعتقد الشعب الفرنسي بوجود قوة خارقة تحميه من المصائب.» قرأت ذلك وتابعت: «ما هذا الكلام الغريب؟»

رد روهان: «ان ذلك قد تم ابان الحروب كما ان شعب دوردونيو عرف باستقلاله الفكري.»

وضع يده بطريقة عادية على يدها ليقودها عبر بوابة أخرى، قال بنعومة: «والآن سترين مونبازيي التي عرفت كلؤلؤة انكلترا.»

ادركت سابين وهي تشهق من الفرح، ان هذه هي قلب الحصن، كانت ساحة كبيرة تحيط بها من كل الجوانب اسياج من الزهور وتغطي أيضاً جدران كل المنازل التي بنيت في القرون الوسطى.

للحظة، بدا ان الزمن قد عاد إلى الوراء، فقد شعرت وكأنها ترى الرجال في العصور الماضية يستعدون للدفاع عن ارضهم، بينما النساء تطل من على الشرفات لتودع ازواجهن وتتمنى لهم السلامة.

كان الجو المسيطر حالياً اكثر واقعية، مع ان ظلال الماضي تلقي بجمالها على الدكاكين الحديثة، ومباشرة تحت المداخل الحجرية زرعت النباتات الدائمة الازهار، وعوضاً عن الجنود، رأت السياح يحملون الكاميرات وهم يتجولون في الساحات والمطاعم المنتشرة والمقاهي ذات المظلات البيضاء لتحمي الناس من اشعة الشمس.

اخبرها روهان، يواجه السوق القديم قاعة كبرى تشبه إلى حد بعيد تلك القاعات في فيلاريل التي ما زالت تحمل طابع تلك القرون الماضية، كما ان هناك سوقاً محلياً كل نهار ثلاثاء، كذلك بالاضافة ان في كل ربيع وصيف يجري احتفال في مونبازيي بسبب شهرة المدينة بزراعة الفطر العملاق. لاحظت ان لا احد في المكان تبدو عليه ملامح السرعة، لكن الجميع يتحركون بحيوية وفرح.

قادها روهان إلى احدى الطاولات الموجودة خارج المقهى وقال: «اترغبين في شراب بعض القهوة؟» طلب ما يريده، وجلس براحة على الكرسي، ابتسم لها وهو يقول: «حسناً، ما رأيك؟»

قالت معترفة: «انها رائعة، وهي من اجمل الاماكن التي شاهدتها في حياتي، كما انها هادئة جداً.»

«لم تكن هكذا دائماً، فلديها تاريخ قاسٍ، اذ كانت منقسمة بين الانكليز والفرنسيين، ولم يكن العيش هنا أمر سهل، صدقيني، في القرن السابع عشر حدثت معركة كبيرة لا تبعد امتاراً عن المكان الذي نجلس فيه الآن.»

ارتجفت سابين من الخوف، وقالت: «انه لأمر مريع.»

«لقد مرت بأوقات عصيبة، لكن يبدو ان مونبازيي الآن تعيش بسلام متصالحة مع ماضيها.» توقف قليلاً ليضيف: «ربما هذا درس علينا جميعاً ان نتعلمه.»

«ربما.» ونظرت إلى الغطاء الابيض الموجود على الطاولة وهي تتابع: «هل هذا يعني انك مستعد لتسامح والدتي... لمغادرتها المنطقة كما فعلت؟»

قال بحزن: «لقد قلت انني لن افعل ذلك ابداً، لم يكن فابيان وحده الذي تأذى لرحيلها، هل تفهمين، لقد كنت طفلاً فقد والدته الحقيقية، وكان يبحث عن العاطفة البديلة، لقد وعدت بالعيش ضمن عائلة مع فابيان وايزابيل.» هز كتفيه وهو يتابع: «اني اتساءل دائماً اذا كنت السبب الذي دفعها للرحيل، اذا كانت لا ترغب بوجود ولد ليس منها في بيتها.»

قالت سابين بسرعة: «لا، اعلم ان هذه ليست الحقيقة، لقد وجدت صورة لك بين اغراض لها، ما كانت لتحتفظ بها، لو لم تكن تحبك.» اخذت المغلف من حقيبتها وقدمته له وهي تقول: «هل تذكر هذه؟»

اصبح وجهه اكثر رقة وهو يقول: «نعم، اتذكر. كانت انطوانيت تزعجني، كالعادة، والسيدة هيلواز تلاحقني لأنني لم ارغب في اللعب مع انطوانيت.»

اغلقت سابين حقيبتها بعناية لتشغل نفسها وهي تقول: «انت وانطوانيت كبرتما معاً، افهم ذلك.»

قال بلهجة هادئة وهو يحدق بالصورة امامه: «لفترة... حتى ارسلت ثانية إلى آرينسي.» رأت تعابير وجهه تتغير، وحاجبيه تنعقدان بشدة وذهول.

نظرت إلى الصورة التي كان يحدق بها.. رجل يقف بمفرده.

قالت بنعومة: «لقد احتفظت بهذه أيضاً، لقد ادركت الآن من أين اخذت. انه البرج أليس كذلك؟»

ساد الصمت لفترة، بعدها قال روهان: «نعم... البرج.» كان صوته غامضاً وهو يتابع: «هل عرضت هذه الصور على احد غيري؟»

«لا، اعتقدت انها قد تسبب الحزن لمن سيراها، في هذه الظروف، كما انها قد ازعجتك، أليس كذلك؟»

«نعم.» امسك يدها بنعومة وقال: «لكن ليس بسبب ما تفكرين به، لم تفعل شيئاً مضراً، صدقيني.» تنهد بقوة واعاد الصور إلى المغلف وهو يتابع: «هل استطيع الاحتفاظ بها لفترة؟»

قالت: «نعم، بالطبع.» وضع الخادم القهوة على الطاولة، ترددت قليلاً قبل ان تتابع: «هل تفيدك بشيء؟»

قال: «نعم، لكنني لا استطيع تفسير الأمر لك... ليس الآن على الاقل.» نظر اليها باهتمام وحنان وهو يتابع: «هل يمكنك ان تتحلي بالصبر وتثقين بي؟»

عاودها ذات الارتباك الذي شعرت به البارحة، فشعرت بالدوار في رأسها، وان ساقيها قد ضعفتا.

قالت بسرعة: «بالكاد اعرفك.»

قال: «هذا صحيح، لكن بطريقة ما يبدو اننا نعرف بعضنا منذ زمن طويل، وان كل حياتنا كنا ننتظر كي نتقابل، اعتقد انك تشعرين بذلك أيضاً.»

امسكت بفنجان القهوة بسرعة وشربت منه، حارقة فمها، قالت متلعثمة: «روهان، ارجوك، لا تقل هذا، لا يهم ما افكر، يجب ألا تقول مثل هذه الكلمات.»

«لما لا؟»

«لأن هناك ناس...» لم تستطع ان تجبر نفسها على قول اسم انطوانيت «... ستتأذى، وانت تعلم ذلك.» تنهدت قبل ان تتابع: «انت لست حراً.»

«ليس في الوقت الحاضر، لن اتظاهر ان ليس هناك مشاكل، لكن ليس هناك ما لا نستطيع التغلب عليه معاً.»

«منذ اللحظة التي وصلت بها إلى هنا، والجميع ينادونني ابنة ايزابيل وهذه كنوع من الاهانة.» ارتجف صوتها قليلاً وهي تتابع: «لا اريد ان اتهم بأنني سببت المشاكل بوجودي.»

قال بهدوء: «اعتقد ان هذا الأمر قد حدث في اللحظة التي

وصلت بها إلى فرنسا، لكن لا نستطيع بحث الأمر الآن، فلدي موعد عليّ القيام به.» اشار بيده إلى آخر الشارع حيث كانا يجلسان. «قابليني في ذلك المطعم عند الساعة الثانية عشر ونصف.» نهض ووضع بعض المال على الطاولة ابتسم لها وغادر.

راقبته سابين وهو يبتعد، وهي تصارع كل انواع العواطف المتضاربة، جزء من تفكيرها، المنطقي، الواعي كان يصر عليها ان كل ما يحدث معها يجري بسرعة وقوة، لكن عاطفتها القوية كانت تقول لها ان روهان فتى احلامها، وهو كذلك منذ ان وجدت، وما كان عليهما الا ان يتقابلا ليعرفا بعضهما.

فكرت بحزن، لكنه ما زال خطيباً لانطوانيت، لا يمكننا ان نسبب لها الاذى... نتخلى عنها في الوقت الذي كانت تتوقع الزواج منه في مهلة اسابيع قليلة، حتى ولو كان الزواج سيتم من اجل اسباب عائلية، وليس لأنهما يحبان بعضهما فهناك الكثير من الحزن والمرارة منذ البداية. من المؤكد ان ليس هناك أي نوع من العاطفة في صوته عندما يتكلم عنها، لكن ماذا يعني ذلك؟ لقد اعتادا على رؤية بعضهما، كما ان انطوانيت جميلة جداً بلا شك.

لكن اذا تزوج روهان من انطوانيت، وهو لا يحبها، هذا سيجعلنا جميعاً تعساء بدلاً من واحدة، تنهدت بعمق، ما هذا الاضطراب كله، لكن روهان قال لها ان تثق به، وهذا ما ستفعله.

انتهت من شرب فنجان قهوتها، وخرجت لتتعرف على

معالم البلدة بمفردها، كذلك كي تشتري بعض الحاجات للذكرى، وجدت محلاً يبيع قطعاً من السراميك الجميلة، فاشترت زوجاً من الاواني على شكل بومة، كذلك اشترت عدداً من البط والاوز الصغيرات الحجم، وشراب شهير من عصير البندق، ووجدت في دكان آخر لوحات زيتية رائعة عن مونبازيي.

اشترت بعض البطاقات البريدية، وكتاب يتحدث بالتفصيل عن الحصون من وكالة محلية، وامضت بضع لحظات تحدق بشهية بقطع التارت والحلوى الموجودة داخل محل باتيسري.

ما كادت ان تخرج من المحل، حيث صرفت بعض المال، عندما رأت انطوانيت تخرج من الصيدلية المواجهة للمحل، حاولت الاختباء على الفور، لكن كان قد فات الأوان. لقد رأتها.

قالت الفتاة بغضب يشع من عينيها: «اذن، هذه انت؟ ماذا تفعلين هنا؟»

اجابت سابين باقتضاب: «اتعرف على المكان.»

«لقد اعتقدت انك قد غادرت إلى انكلترا، قالت السيدة هيلواز ان ليس لديك ما تفعلينه هنا، وانك ستغادرين سريعاً.»

قالت سابين ببرودة: «عندما اريد ذلك.»

هزت انطوانيت رأسها باستخفاف: «كنت سأشعر بالخجل لو بقيت في مكان لا يرغب برؤيتي احد، لكن هذا ما كانت تفعله والدتك، بالتأكيد، لقد كانت مسببة للمشاكل، مثلك تماماً... تلاحق رجالاً ليسوا لها.» اصبح صوتها مليئاً

بالكره والحقد. «لقد سمعت كل شيء عنها، وانا اعلم ماذا تحاولين القيام به، لكنه لن ينفع، انك تحاولين اخذ روهان مني.»

قالت سابين: «لن اقف هنا لأسمع هذا الكلام السخيف.» وهي تدرك بأسف ان كلامهما يشد انتباه زبائن المحل.

دنت انطوانيت منها بغضب واضح. «اني احذرك، اذهبي في الحال، واتركي روهان وشأنه، والا ستجدين ما لا يسرك، انني اريده، واستطيع بالمقابل ان امنحه ما يرغب به اكثر من أي شيء آخر لاتور مونشوزيت، وهذا ما يهم روهان... بساتين الكروم. ان يصبح اشهر مزارع في جنوبي غربي فرنسا، هذا هو حبه الحقيقي، ايتها الغبية، لقد ادركت ذلك منذ زمن بعيد، ولن اسمح لك بالتدخل لافساد كل شيء.» استدارت لتتابع سيرها، لكنها نظرت اليها من فوق كتفها وقالت: «ابنة ايزابيل» بصوت مليء بالاحتقار.

شعرت سابين بالمرض وهي تراقبها ترحل، الصوت الذي لم تعرف صاحبه، الهمسة التي سمعتها البارحة في الغابة، لا بد انها انطوانيت، شعرت وكأنها غرقت في بحر من الظلام.

سمعت من مكان ما صوت جرس يقرع، فتذكرت انها في منتصف النهار حيث عليها مقابلة روهان، لكن كيف يمكنها ذلك... وهي تشعر بكل هذا الألم؟

علمت لو ان سيارتها معها، لكانت استقلتها وهربت، عائدة إلى ليه هيبو، ومنه إلى مطار بوردو، شعرت وكأنها لا تستطيع مواجهة كل ما يحدث معها، ولم تكن تخجل بالاعتراف بذلك.

ما ان وصلت إلى المطعم، حتى وجدت روهان ينتظرها على الباب وقد فقد صبره.

ضحك وهو يقبل يدها: «لقد اعتقدت انك تهتي.» رأى وجهها الشاحب والحيرة في عينيها، فقال غاضباً: «ما الأمر، يا عزيزتي؟ ما الذي حدث؟»

قالت بضعف: «انها انطوانيت. انها تعرف اننا هنا معاً، وقد قامت بتصرفات غريبة في الشارع.»

قال بيأس: «ان انطوانيت لديها اختصاص بالتصرفات الغريبة منذ ولادتها، اتمنى انك قد اخبرتها ان لا علاقة لها مطلقاً بما يخصنا؟»

سألت بتحدٍ: «كيف يمكنني ذلك؟ لديها الحق في ان تغضب، انها خطيبتك في النهاية.»

حدق بها، وقد تجهم وجهه فجأة، وقال بغضب صارخ: «ماذا تقولين؟»

اجابت بقلق: «روهان... لقد قلت لي بنفسك انك ستتزوج بعد عدة اسابيع.»

قال بقوة: «احتاج لشراب شيء ما. كلانا بحاجة لذلك.» شدها إلى داخل المطعم وطلب شراباً من عصير الفاكهة الطازج، وبعدها جلسا في احدى زوايا المطعم.

قال بهدوء: «الآن اسمعيني، واسمعيني جيداً، انا لن اتزوج انطوانيت، فأنا لست غبياً، آه لقد فكرت بذلك عدة مرات، اعترف بذلك. فنحن نعرف بعضنا من ايام الطفولة فبذلك يكون الأمر مقنعاً، ومفيداً للجميع، فأنا اعرف كل ما سنجنيه من ذلك.» توقف قليلاً ليتابع: «ستكون حياتنا

كالجحيم، لا يعقل انك فكرت مرة انني اعتبرها كخطيبة لي، هل بدا عليّ قليل من الاهتمام بذلك؟»

«لا.» اعترفت قائلة: «لكن عندما كنا معاً في القاعة الكبرى لقد ذكرت لي ان هناك زفافاً... سيقام بعد اسابيع قليلة.» ضعف صوتها وهي تتابع: «لذلك اعتقدت...»

«ليس زفافي، انها ماري كريستين ستتزوج من جاك، لقد خطبا منذ سنة تقريباً، واتفقا على ان يتم الزواج في شهر آب (اغسطس)، حيث يكون العمل خفيفاً، أي قبل موسم القطاف، في ذلك الوقت لا استطيع العمل من دونه.»

كررت: «ماري كريستين وجاك، جاك الذي اوصلني إلى ليه هيبو؟»

«نعم.»

«يسعدني ذلك.»

«وأنا أيضاً.» امسك بيدها ورفعها إلى شفتيه، قال بنعومة: «سنرقص معاً في الزفاف، انت وانا.» شعرت بالاضطراب من صوته الواعد، انهى شرابه وقال: «اما الآن فسنأكل.» اقتربت منهما زوجة صاحب المطعم، وقد كانت سمراء، نحيفة الجسم، لترحب بهما، كما لاحظت سابين ان الجميع كانوا ينظرون اليهما باحترام واعجاب.

تناولا اولاً حساء الخضار بالصلصة البيضاء، اختار روهان طعام فرنسي، لكن سابين رفضت وهي تضحك ان تشاركه اياه.

قالت: «انا لست فرنسية كفاية... ليس بعد.»

ابتسم لها وقال: «ستصبحين كذلك.»

طلبت نوعاً من السمك للغداء، بعد ذلك قدم لهما نوعاً من

اللحم مع البطاطا المهروسة، والملفوف المطبوخ بالزبدة.

فكرت سابين، انها ستتذكر هذه الوجبة كل حياتها، من اصغر لقمة خبز حتى الطعام الشهي في الاواني الصينية الفاخرة... وكم كانا سعيدين.

احضرت القهوة مع صحن خاص بجبنة حادة، تكلما بكل شيء دون موضوع محدد، كما انهما كانا يتصرفان مع بعضهما بصورة جدية، فقد اكتشفا حبهما القوي للقراءة كما انهما يتمتعان بالذهاب الى السينما والمسرح. كذلك كلاهما يجيدان التزلج ويلعبان التنس، اضافة إلى ذلك كان روهان يلعب الروكبي في فصل الشتاء، كما انه مثل كل رجال المنطقة يحب الصيد.

قالت متعجبة: «أليس أمراً مدهشاً ان يكون بيننا كل هذه الاشياء المشتركة؟»

هز رأسه: «وماذا كنت تتوقعين غير ذلك... عندما تقابلين النصف الآخر لك؟»

قالت بصوت خجول: «هل هذا ما حدث معنا؟»

قال: «نعم، وقد علمت ذلك منذ اليوم الأول عندما اتيت فيه إلى المزرعة تقودين كالمرأة المجنونة، اعتقد صدمة وجودك قد جعلتني اصاب بالجنون انا أيضاً، انت... وكل ما فيك... تمثلين تعقيدات في حياتي انا بغنى عنها، كنت ارغب في الركض نحوك، وفي ذات الوقت كنت اريد ان ابعدك من هنا... اتظاهر بانني لم ارك قط... انك غير موجودة.»

اصبح صوته اقسى وهو يتابع: «لكن في كل مرة كنت اراك كنت اجد نفسي ضعيفاً... راغباً في التقرب منك.»

ابتسمت سابين: «ما كنت عرفت ذلك ابداً.»

قال بحزن: «لم اكن ارغب بان تعرفي.» اقترب منها وامسك يدها: «ماذا تريدين ان تفعلي بعد ظهر هذا اليوم؟»

«علي الذهاب لرؤية مفروشات المنزل، هل تفكر بشيء آخر؟»

ابتسم بعذوبة: «اريد ان اصطحبك إلى املاكي... لتتعرفي على عالمي، لكن يمكن لذلك ان ينتظر.» بصورة غير متوقعة عادت كلمات انطوانيت ترن بأذنيها، قالت ببطء: «انها تعني لك كل الشيء، الكروم، أليس كذلك؟»

«يجب ان تكون كذلك.. لكل مزارع. فالكروم جشعة قاسية، وتندفع بقوة تحت التراب، لكنها مع ذلك تتأذى بسهولة، انها بحاجة لعناية دائمة، واهتمام دائم، تماماً كحضانة الاطفال، فعندما تزهر الكروم باكراً، يكون الموسم افضل، لكن هذا أيضاً يعرضها لخطر الثلج المتساقط في نيسان (ابريل) اذ يقضي على البراعم.»

اضاف: «لكن كل فصل من السنة يحمل همومه الخاصة، لا احد ينسى الكارثة التي حلت بسبب فيلوكسرا (نوع من قمل البنات)، لن اسمح ان يحدث هذا بكرومي.»

احست بالقلق من لهجة الاعتزاز بنفسه، لكن لا تور مونشوزيت لا يعود اليه، بل إلى غاستون، عضت على شفتها، هل يعقل ان السيد دو روشوفور يحاول ان يقنع روهان بالزواج من انطوانيت؟

نظرت إلى صحنها الفارغ، تريد ان تبحث الموضوع معه، لكنها في ذات الوقت لا تريد ان تبدو متطفلة، حتى لو ان تقاربها الجديد اصبح مؤكداً، قالت: «لا بد انه من الصعب عليك... ألا تكون دائماً في مكان عملك.»

قال بصراحة: «انا اكره ذلك، لكن لن يستمر ذلك لوقت طويل، لا بد لي من القيام بذلك، بمساعدتك.» ارجع رأسه إلى الوراء وتابع: «لا بد انني سأتحكم بحياتي في النهاية، ولن يهمني ماذا سيحدث بعد ذلك.»

ارادت ان تسأله، لكن كيف؟ وما هو دورها في ذلك؟

نهض عن كرسيه، وهو يشير إلى الخادم ليحضر الفاتورة: «الآن دعينا نذهب لنرى مفروشات منزلك.» وضاعت الفرصة لتسأله.

فكرت سابين، وهي تتبعه تحت حرارة الشمس، سأسأله لاحقاً، مبعدة عن ذهنها التفكير بانطوانيت وما قالته لها.

كانت فترة بعد الظهر مثالية، فالسيد بالون كان رجلاً مميزاً لديه شارب عريض وعينين واسعتين، وقد كان سعيداً جداً بالحصول على مسافة اوسع في مخزنه، وكما قالت الآنسة لافو، كانت المفروشات تعود إلى اماكن وازمنة مختلفة، وقد حفرت كلها من الخشب المعتق القديم، كانت تختلف تماماً عن كل ما كانت سابين تملكه في انكلترا، لكن كان ذلك يزيدها جمالاً وسحراً.

اخذت تتخيل انها قد اعادتها كلها إلى ليه هيبو، اعلنت بصوت عالٍ اين ترغب في وضع معظم الاثاث، بينما تبادل روهان والسيد بالون النظرات، وهما يناقشان التفاصيل بكيفية تسليمها.

كادت ان ترقص وهي تعود إلى السيارة، لقد بدا لها الأمر مستحيلاً كيف تغيرت حياتها في ايام قليلة، وهذا ما قالته لروهان.

«لقد كنت يائسة عندما اتيت إلى هنا، لقد رفض وجودي كل من رآني، لكن الآن اشعر فعلاً انني انتمي إلى هذه البلاد.»

قال وهو يضحك: «وهذا ما ستشعرين به على الدوام، سأعمل على ذلك بنفسي.» مد ذراعه إلى المقعد الخلفي في السيارة، كان القماش الملفوف في الحقيبة عبارة عن تنورة واسعة وطويلة، ومعها قميص قصير من الحرير المطرز عليها زهور سوداء وبيضاء اللون.

قالت وهي تنظر إلى الثياب في حضنها: «آه، انها رائعة، انها من المحل عند الزاوية حيث تصنع جميع الثياب من اقمشتهم الخاصة.» تذكرت كم تكلف غالياً هذه الثياب، فتابعت: «لكنني لا استطيع قبولها.»

لمس خدها بيده وقال: «بلى، تستطيعين، اقبليه كاعتذار عن كل ما حدث.» ابتسم لها، وعيناه تتراقصان بمكر «ارتديه من اجلي هذا المساء.»

قالت بأسف: «لا استطيع. سأتناول العشاء عند الآنسة لافو وماري كريستين.»

قال بنعومة: «ما هذه الصدفة، كذلك جاك وانا، اتمنى ألا تعارضي، تعلمين، انني بحاجة لأن اراك بعيداً عن القصر، ولم اكن متأكداً انك سترافقيني اليوم، لذلك قمت بخطة أخرى بمساعدة مونيك.»

ضحكت سابين ما ان انطلق بالسيارة، وقالت: «انك قوي العزيمة، يا سيد سانت ايف، ومسيطر جداً.»

احنى رأسه موافقاً: «احصل دائماً على ما اريده.» نظر اليها بجد وتابع: «هل هذا غلط؟»

«لا... اعتقد ذلك.» وجدت نفسها مضطربة من التحدي بصوته، ذكرها ذلك بأنها لا تعرف شيئاً عنه... عن شخصيته، وعن مدى تورطه للوصول إلى ما يريده.

كانت مغرمة برجل ما زال غريباً عنها، ارتجفت من الفكرة، وكأن غيمة قد مرت فجأة وحجبت عنها أشعة الشمس.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

رافقها ذلك الشعور الغامض المربك وهي تحضر نفسها للعشاء في ذلك المساء. كانت تشعر وكأنها تركب دواخة كبيرة بسرعة جنونية وخطر اكيد.

فكرت ثانية، الأمور لا تحدث هكذا خاصة مع ناس مثلي كل شيء يجري بسرعة ويأخذ طابعاً جدياً، شعرت برجفة بين ضلوعها.

فهي ليست ممن يحبون الخطر أم هي كذلك؟ ما عادت تعرف شيئاً.

لقد أتت إلى فرنسا لتتعرف على هويتها ولم ينتهِ بحثها بعد كانت تعلم ذلك بكل تأكيد.

التنورة والقميص اللتان اهداهما إليها روهان زادا من اضطرابها الداخلي. فقد كانتا انيقتان جداً. وجميلتان بشكل لم تتعود عليه مع ثيابها البسيطة العادية.

نظرت في المرآة، فرأت امرأة غريبة تحدق بها، وتنظر إليها كأنها في حلم.

استدارت بسرعة، وامسكت بوشاح لتضعه حول كتفيها، وسارت ببطء نحو المزرعة.

استقبلتها مونيك لافو بترحيب حار، وبمداعبة ساخرة من ماري كريستين، التي جرتها على الفور الى غرفة نومها لتريها ثوب الزفاف الذي كانت تصنعه لنفسها، من القماش الغالي وذات لون عاجي. كان جميلاً، والتطريز

الماهر الذي كانت تقوم به ماري كريستين رائعاً، هذا ما قالته سابين بمنتهى الصدق.

قالت ماري كريستين بفرح: «يسعدني جداً انه اعجبك. ستأتين إلى الزفاف؟ بالطبع ستفعلين لن اقبل برفضك ابداً.» اخفضت صوتها قبل ان تتابع: «كما وانني اريد ان اطلب منك خدمة كبيرة.»

سألت سابين متعجبة: «اطلبي ما تريدين.»

«نريد أن نستعير بيتك... جاك وأنا... من أجل ليلة زفافنا الأولى. انها عادة، هل تفهمين، على العروسين الهروب من حفلة الزفاف والاختباء في مكان ما في منزل صديق مثلاً.» ضحكت قبل أن تتابع: «المكان الافضل للاختباء هو الذي يخص به العروسين قبل ان يلحقوا بهم الضيوف.»

«وهل دائماً يجدونهم؟»

«أجل، في آخر الأمر، ويحضرون لهما توران.»

رفعت سابين حاجبيها: «لا اعتقد انني افهم.»

قالت ماري كريستين تفسر لها: «انه وعاء كبير من الحساء الحارة وهي من أجل العريس.»

«لقد فهمت، وما الذي يحدث بعد ذلك؟»

«نغسل ايدينا في وعاء من الماء ونشرب الحساء. انها عادة فقط، علينا ألا نجعل الأمر سهلاً لايجادنا.»

«فهمت ذلك ايضاً. بالطبع يمكنك ان تمكثي في البيت. ولن اذكر ذلك لاحد.»

نظرت إليها بفرح: «شكراً لك الاف المرات. ربما في وقت ما نرد لك ذات الخدمة.»

حاولت سابين أن لا يبدو الخجل عليها وهي تقول: «ربما.»

كانت غرفة الجلوس في المزرعة واسعة جداً، وتنتهي بسلم خشبي، كما كان هناك مطبخ جميل ومرتب في الجهة المقابلة، منفصل عن مكان منعزل كانت مونيك تعمل هناك بسعادة.

وصل روهان وجاك عندما عادت الفتاتان، سكب الجميع شراباً بينما كانت مونيك تضع اللمسات الاخيرة على طعام العشاء.

قالت معتذرة وهي تحضر النوع الأول: «انه عشاء بسيط، أحب كثيراً طهو الطعام، لكن عملي لا يترك لي متسعاً من الوقت.»

رفع روهان حاجبيه بتقدير ما ان سكبت الحساء في صحنه: «حساء الزفاف؟ الا تعتقدين انه ما زال باكراً تقديمها يا مونيك؟»

ضحكت: «أردت أن أقدم لسابين شيئاً خاصاً بباريغورد.»

نظرت ماري كريستين وغمزت سابين بعينها تذوقت سابين الحساء لتجدها شهية جداً.

قدمت مونيك البط المدخن مع طبق من السلطة المشكلة ثانية، وتبعته بالدجاج المقطع المقلي اما العشاء الاساسي فكان ارنب بالثوم مع بطاطا مشوية، قدم معه سلطة طازجة.

قالت سابين بضعف: «وجبنة ايضاً؟» ما ان وصل وعاء كبير مليء بانواع مختلفة من الجبن ووضع في وسط الطاولة: «لن اتمكن من المشي بعد هذه الوجبة الغنية.»

اخيراً، احضرت مونيك قالباً من الكاتو الاسفنجي مزيناً بالفاكهة الطازجة من الاناناس والكرز. فكرت سابين إذا كانت هذه وجبة بسيطة فهي لن تحب أن ترى ماذا ستطهو مونيك لافو كوجبة حقيقية.

احضرت أخيراً القهوة، كانت سابين طوال السهرة تشعر بنظرات روهان تلاحقها حاولت أن تقنع نفسها ان عليها ان تكون منطقية، وان تركز انتباهها على الطعام وعلى من حولها في العشاء لكنها في ذات الوقت كانت تشعر باحساس ناعم وسعيد ينمو في قلبها.

تناول الحديث على العشاء مواضيع عامة، لكنه انتقل الان ليصبح عن شؤون القصر فقط، ونجاح موسم الكروم في الحقل. كان جاك يتحدث بحماس عن المحاصيل ولاحظت سابين انه يصعب عليها متابعة الحديث عندما تطور ليصبح اكثر تقنية وخصوصية، وضحكت ماري كريستين على تعابير وجهها المندهشة.

قالت: «لا يعني العمل هنا التعب والدوام، بل انه طريقة العيش، يجب ان تعتادي على ذلك.» قالت ذلك وهي تغمزها بعينها.

شعرت سابين انها احمرت خجلاً لكن ليس هناك ما يمكن ان تقوله لتنكر. لا أحد يستطيع ان يخطىء بالاهتمام المميز الذي يحيطها به روهان.

شاركت سابين ماري كريستين بتنظيف الصحون، بينما قامت مونيك بتحضير المزيد من القهوة، وجلست تشرب بفنجانها الصغير. رحبت سابين باقتراح ماري كريستين أن يتناولا القهوة في غرفتها، بينما تتأملان مجلة

للمفروشات. كانت تريد التخلص من نظرات روهان لفترة لتتمكن من السيطرة على اضطراب خفقات قلبها. فهي لم تكن معتادة على هذا الاحساس القوي تجاه أي انسان حتى عندما كانت في المطبخ كانت تجد نفسها تنظر إليه وكأنها منجذبة بقوة لا تستطيع مقاومتها وكانت تعلم انه يعرف ذلك.

بدا لها من المستحيل أن تكون قد احبته بهذه السرعة وبهذه القوة، خاصة انها لم تحب احداً في حياتها، ولم تنظر مرة إلى شاب إلا كصديق عادي.

بعيداً عن النظر إليه وسماع صوته، أخذت تنظر باهتمام إلى المفروشات والاغطية وبحماس كانت تتمناه منها ماري كريستين، كذلك تمكنت من طرح بعض الاسئلة عن روهان.

قالت ماري كريستين معترفة: «انني سعيدة جداً من أجلك... من أجلكما معاً. لقد عرفت روهان منذ فترة طويلة جداً، لكنني لم أره يوماً سعيداً هكذا، أو بهذا الانسجام. انه الحب من أول نظرة أليس كذلك؟»

ضحكت سابين وقالت: «حسناً، نعم، لم يحدث لي هذا ايضاً من قبل.» ترددت قبل أن تتابع: «لكنك قلت انه يريد انطوانيت...»

هزت ماري كريستين كتفيها بخفة وقالت: «آه، حسناً، بالنسبة لذلك... يبدو انه الحل الوحيد إذا اراد روهان أن يكون سيد لا تور مونشوزيت. ومن الطبيعي أن تكون هذه رغبة السيد غاستون وزوجته. لكن ليس هو ولا انطوانيت يحملان دم السيد دو روشوفور لذلك لا بد من القيام بتضحيات غالية للحصول على كل هذا الميراث.» ابتسمت

لها بعذوبة وتابعت: «والآن يبدو انك وجهت أفكاره باتجاه آخر، وهذا ينهي كل شيء.»

تساءلت سابين وهي تنزل الدرج، هل يفعل ذلك؟ إذا كان روهان فعلاً يريد السيطرة على كل هذه الأملاك، هل ستعتبر ان حبها قد كلفه الكثير، عندما تبرد عاطفته وهذا أمر مؤكد؟ هل سيضع اللوم عليها في المستقبل لأنه خسر حلمه الكبير؟

عندما رأته ينظر إليها ويبتسم وتبخرت كل مخاوفها كما يتبخر ضباب الصباح عند شروق الشمس. انها له في السراء والضراء، وعلى المستقبل ان يهتم بنفسه.

كانت السماء تشع بالنجوم في طريق عودتهما إلى بيتها، قال روهان: «سابين، بعد اليوم لن يكون هناك انفصال بيننا أبداً.»

همست: «إنني متأكدة من ذلك.»

• • •

عندما فتحت عينيها في اليوم التالي، شمت رائحة القهوة في المطبخ.

جلست سابين، وهي تشعر بالبرد من الهواء البارد صباحاً.

قال روهان وهو يحضر فنجانين من القهوة: «سوف اراك مساء في القصر على العشاء. أنت لم تنسي انك مدعوة؟»

«لا، بالطبع لا، لكن، الا استطيع رؤيتك في النهار؟»

«يسعدني ذلك، من الافضل أن ننتظر حتى المساء، صدقيني فما عدا اعمالي في الكروم، لدي يوم شاق، وعدة اجتماعات علي القيام بها. اعمال تهمنا نحن الاثنين.»

قالت غاضبة: «مثل ماذا؟»

«سأشرح لك كل شيء عند المساء، لا تقلقي كما ان لديك عمل كثير اليوم أيضاً، تذكري ان السيد بالون سيحضر كل ما طلبته.»

أدركت انها تريد البقاء بقربه، لكن ليس عليها أن تتوقع منه أن يلغي كل أعماله ليجلس بجانبها. فلا بد أن تهتم بمصالحه أيضاً.

ابتسمت وهي تقول: «سأراك عند المساء.»

قال غاضباً قليلاً: «نعم، حسناً سنمضي نهار الغد كله معاً، اعدك بذلك.»

ضحكت وهي تقول: «ساعد لك الطعام، وجبة انكليزية.» نظرت إليه وهو يغادر، كان الصباح رمادياً هذا ما فكرت به وهي تشعر برجفة غريبة، فالسماء مثقلة بالغيوم بعد نهار البارحة الحار، لكن على الاقل سيكون العمل أفضل بطقس بارد.

عندما وصل السيد بالون كانت المطر ينهمر، وتم تسليمها المفروشات بسرعة قصوى. قررت سابين أين ستضع كل القطع الكبيرة في الغرف المخصصة لها، أما اعادة وضع كل قطعة صغيرة بمكانها، وترتيب كل المنزل، يستطيع الانتظار حتى تصبح بمفردها.

كان قد انتصف النهار قبل أن تنهي سابين اعادة «لليه هيبو» إلى مكان رائع للسكن فيه. كانت تشعر بالارهاق من كثرة تغير اماكن المفروشات وحملها. لقد صنعت مفروشات العجوز هيرقل لتدوم إلى الابد، هذا ما فكرت به وهي تستحم.

ارتدت بنطلون جينز نظيف وقميصاً قطنية، وقادت سيارتها إلى فيلاريل لتشتري ما تحتاجه لنهار الغد. كان الطقس ماطراً والهواء بارداً، يا له من تناقض غريب مع حرارة الأمس. شعرت برجفة من البرد وهي تدخل إلى المخزن. لقد قررت ماذا ستطبخ غداً لروهان، صلصة البندورة، بعدها لحمة البفتاك المقدمة مع طبق من الخضار الطازجة، كما وانها لن تضع له الحلوى بل ستشتري تارت بالتفاح شهي من بائع الحلوى.

ما ان عادت إلى المنزل، حتى اخذت تفكر ما الذي سترتديه ليلائم سهرتها بالقصر. كانت بصراحة تخاف من أن تقارن مع الفتاة الأخرى. على عكس روهان، لم تكن مقتنعة ان انطوانيت ستتخلى بسهولة عن عدم التدخل بحياتهما هذا ما يجب ان يتكلما عنه معاً. ربما قد يكون من أهم المواضيع التي يبحثها روهان اليوم، يحاول ان يمهد لها الطريق للاعتراف بها كزوجة المستقبل.

ما زالت تجد صعوبة في التأقلم مع طريقة كيف تغيرت حياتها خلال هذه الأيام القليلة. لقد أتت إلى هنا لتسأل عن الماضي، وبدلاً من ذلك اكتشفت مستقبل حياتها.

اوقفت السيارة وأخذت تنقل الاغراض الى الداخل. لاحظت ورقة ما أن دخلت من الباب كانت قد تركت على الشرفة وقد وضع عليها حجر. لم يكن هناك مغلف فقط ورقة صغيرة، تحتوي على رسالة طبعت باختصار. «يجب أن اتحدث معك قبل المساء قابليني في البرج عند الساعة الخامسة. روهان.»

ابتسمت بفرح فهذا ما تحتاج إليه فعلاً... أن تراه، أن

تحصل على دعمه ومساعدته قبل أن تواجه الجميع في القصر مساء.

اعترفت، انها ليست رسالة تحمل أي دعم ومساعدة ربما هناك بعض المشاكل. إذا كان الأمر كذلك ستزعم انها اصيبت بصداع، وتبقى بعيدة عن لاتور مونشوزيت بأكمله. فكرت بحزن، لقد عانت ما فيه الكفاية من سوء طباعهم وتصرفاتهم السيئة.

توقف سقوط المطر في الوقت الذي اصبحت فيه جاهزة للخروج، فما عليها إلا أن تضع جاكيت ناعمة حول كتفيها وتخرج.

لكن كانت الغابة موحلة ومليئة بالمطر، وكل نقطة ماء على شعرها أو على مؤخرة عنقها جعلتها تندم لأنها لم تحضر شمسية معها قبل أن تصل إلى البرج.

وصلت باكراً إلى الموعد، لكن روهان قد وصلت قبلها ايضاً، وهذا واضح، لأنها رأت الباب الخشبي مفتوحاً. سارت وهي تناديه، لكنها لم تسمع أي جواب. غضبت قليلاً، ما ان وقفت تنظر حولها، كانت متأكدة تماماً انها ستجده هناك...

فكرت فجأة أن هذا الاستدعاء وحضورها إلى هنا غير ضروري ومثير للغرابة. فإذا كان روهان يريد التحدث معها على انفراد، فانه يمكنه الذهاب إليها بدلاً من هنا؟ اخذت تحف كتفيها بسرعة متمنية لو احضرت معها جاكيت صوف فمدخل البرج كالبراد لا بد ان روهان رأى ذلك ايضاً، وذهب ليتمشى قليلاً، بدلاً من البقاء هنا بانتظارها، ليتجمد من البرد.

كان هناك شيء آخر يثير مخاوفها. انه آخر مكان في العالم ترغب بلقاء روهان به، هذا ما ستقوله عندما يعود.

بدأت بارتداء الجاكيت الناعمة، عندما شعرت بحركة خفيفة وراءها. استدارت بسرعة، وهي تهز برأسها وتبتسم... وتوقفت على الفور. لأن الضجة التي سمعتها لم تكن وصول روهان على الاطلاق لقد كان الباب يغلق من ورائها، ويتركها بمفردها في ذلك المكان المرعب.

شعرت بانقباض قوي في معدتها، وغصة في حلقها، وهي تسمع صرير المفتاح في القفل الكبير.

لقد اصبحت سجينة البرج.

الفصل التاسع

أهم شيء بالطبع، ان لا تصاب بالرعب، لا بد ان هذه مزحة سمجة، قام بها شخص غير مسؤول، أو ربما بالخطأ، احد ما رأى الباب مفتوحاً، فاغلقه خوفاً من تركه ينكسر، أي تفكير آخر، والتصرف بهستيرية لن يساعدها ابداً.

قررت ان تتنفس بهدوء وبعمق عوضاً عن الخوف، بعدها سارت نحو الباب وحاولت فتحه، هذا في حال ان سماعها لقفل الباب هو من تخيلها فقط، لكن لم تتمكن من ذلك، اخذت نفساً عميقاً آخر وصرخت: «هاي، من هناك!» ثم ضربت الباب بقبضتيها بقوة... لكنها سمعت صدى صوتها وساد الصمت المخيف، لا بد ان من اغلق الباب قد رحل.

تراجعت نحو الصوفا محاولة ان تحلل ما حصل، فكرت ان الأمر قد يكون مجرد خطأ، في النهاية فقط روهان يعلم بموعد لقائهما، وهذا النوع من المزاح الثقيل ليس من طبعه، وبذلك تكون ضحية خطأ انسان آخر، كما ان البرج هو المكان الوحيد الذي يعلم الجميع بأوامر السيد غاستون بعدم استعماله.

كل شيء جيد وحسن، ذلك لأنه ليس هناك ما يدعو حقاً للقلق، في أية لحظة الآن، سيصل روهان ليوصلها إلى القصر، وعندها ستحل مشكلتها. نظرت إلى ساعتها بقلق. في أية لحظة الآن...

بعد مرور ساعة توقفت عن التفكير بأن ما جرى معها مجرد خطأ، فكرت ربما اتصل به احد، أو زاره احد، أي شيء قد يحدث. ارتجفت من الخوف، ما زال الوقت متأخراً لموعد العشاء. اصبح الهواء بارداً في البرج، واصبحت تشعر بثقل الجو وعدم الراحة اكثر واكثر. تمنت لو انها احضرت الرسالة التي معها، اخذت تتساءل ان كانت قد قرأتها بسرعة... ولم تتأكد من الوقت، لكن السطرين المطبوعين كانا واضحين جداً، ولا مجال للخطأ في تفسيرهما.

توقفت افكارها فجأة، ونهضت على الفور، ما ان تسارع عدد من الافكار في بالها في وقت واحد. اولاً كيف يمكنها التأكد ان الرسالة هي حقاً من روهان؟ أي شخص يمكنه طباعة تلك الرسالة وامضائها، ادركت ذلك وهي بائسة، في الحقيقة لم تكن متأكدة انها اخبرت روهان بمعرفتها عن مكان البرج، أو اخبرته انها ذهبت إلى هناك، كل الذي فعلته انها عرضت عليه صورة فابيان، هذا ما تذكرته بقلق كبير.

لا احد يعلم انها كانت هنا... الا من المحتمل...

توقفت، ابنة ايزابيل، عادت تلك الكلمات التي سمعتها في الغابة إلى مخيلتها، ما عدا... شخص كان يراقبها... ويلاحقها...

عضت سابين على شفتها بقوة، قالت لنفسها بحزم انها لا تريد التفكير بهذا الاحتمال، لقد اصبحت تفكر بطريقة مأساوية سامحة لمخيلتها ان تسيطر عليها، هناك تفسير واضح وبسيط لكل ما يحدث معها... لو انها فقط تستطيع ان تفكر بطريقة صحيحة، على الرغم من كل شيء. عاد

تفكيرها يدور حول انطوانيت... متذكرة كيف كان وجهها مليئاً بالحقد والكره في لقائهما الأخير في مونبازيي، لكن هل لتلك الفتاة القدرة على كل هذا العمل؟ واذا كانت كذلك فما الذي ستجنيه من عملها هذا؟

لأنه لا بد ان يجدوني، عاجلاً أم آجلاً، قد اكون جائعة، باردة وخائفة، لكن لا بد ان يجدوني، عندها عليها ان تفسر سبب حجزي هنا، اخذت تسير ذهاباً واياباً، وهي تحف بيديها على ذراعيها لتبعد عنهما البرد القارس.

أحست بالجوع، وادركت فجأة ان هذا هو مصدر خلاصها، فعندما لا تصل إلى العشاء في القصر، عندها سيبدأون البحث عنها، وأحد ما سيفكر بالبرج... بطريقة ما.

المشكلة ان تجعل من وجودها هنا أمر يعرفه فريق البحث، كانت الجدران والابواب سميكة جداً، بحيث تعلم انه من المستحيل ان يسمع احد صراخها، كذلك النوافذ في الطابق الأول مرتفعة جداً لا يمكن الوصول اليها، في هذه الحال عليها ان تخلع الجاكيت وتعلقها كعلامة واضحة عن يأسها، وهذا ما سيعرضها للموت من شدة البرد.

مر الوقت ببطء شديد، شعرت بانحسار الضوء. لقد اصبح الغروب وشيكاً، وفكرة مكوثها هنا في الظلام ترعبها، فلقد سمعت الكثير من اصوات الحشرات الزاحفة على السطح فوق رأسها، اعتقدت ان عليها الصعود إلى أعلى البرج قبل ان يختفي النور كلياً... لترى ان كانت تستطيع ان تعطي أية اشارة تدل على وجودها هنا.

صعدت الدرج الضيق بحرص شديد، خائفة ان تنزلق أو تضع رجلها على شيء يخيفها، وصلت بحذر إلى أعلى

البرج، عصفور أو ربما حمامة طارت بسرعة، كادت جوانحها تضرب بها، قفزت سابين بسرعة إلى الوراء، وقلبها يخفق بشدة.

الواح الخشب في أرض البرج قد انهار معظمها، وشاهدت الكثير من الثقوب في اماكن عدة. اختارت طريقها بحذر شديد معتمدة على جوانب الأرض، واضعة يدها على الحائط بصورة دائمة، كانت النوافذ عالية ولكن يستطيع المرء ان يصل إليها، صعدت اليها وهي تقدم رأسها إلى الامام، استطاعت ان تنظر بوضوح إلى الارض تحت البرج، لكن كانت خالية تماماً، هذا ما عرفته وهي تتنهد متمنية لو تشاهد صديق فضولي، أو زائر ما، ما ان بدأت بالتراجع إلى داخل الغرفة، حتى وصل إلى انفها رائحة الوردة المتسلقة، فشمتها براحة واعجاب، بعدها توقفت متذكرة الاسطورة، لقد نجحت مع سابين تلك لذلك على الاقل تستحق المحاولة.

تنهدت بعمق وتقدمت اكثر ممسكة باقرب وردة مغمضة عينيها عن بعد الأرض تحتها، لم تستطع ان تقطف الوردة بلا تعب، فلقد اكتشفت ان اشواكها كالخنجر، ارتجفت من الألم التي سببتها في اصبعها الدامي، استطاعت ان تلتقط ثلاث وردات، امسكت بهم للحظة تشم عطرهم، همست: «ساعديه ايتها الوردات كي يجدني... ارجوك.» بعدها رمتهم، مع بعضهم في الفراغ الظاهر، مدركة انه من المستحيل عليها ان ترى اين سقطوا كل ما تستطيع فعله هو ان تتمنى، عادت إلى الطابق الاسفل، وجلست على الاريكة القديمة، واضعة ذقنها على ركبتيها منتظرة ماذا سيحدث لها.

على رغم من جلستها واحساسها بعدم الراحة لا بد انها نامت قليلاً، لأنها وجدت نفسها تجلس فجأة، وكل حواسها متيقظة على سماع صرير مفتاح في الباب المقفل، تنهدت براحة كبيرة، لقد اتى روهان لقد وجدوها في النهاية.

تجمدت مكانها ما ان فتح الباب وشاهدت الشخص الذي يتقدم نحوها في ما تبقى من ضوء ذلك النهار المخيف، من خلال ظلال الغرفة شاهدت نوراً قوياً يسطع من مصباح في يدها، فابعدت سابين عينيها عن نوره.

لكن النور القوي لم يتحرك بقي مسلطاً عليها بقوة، ومن مكان ما وراءه سمعت تلك الهمسة وكأنها شتيمة: «ابنة ايزابيل.»

فقط هذه المرة عرفت الصوت واضحاً...

وقفت على قدميها بعزم، متجاهلة الألم من تشنج عضلاتها وقالت بهدوء: «عمت مساء سيدة هيلواز، هل لي ان اعرف ما معنى كل ذلك؟»

ساد الصمت قليلاً بعدها قالت هيلواز دو روشوفور بصوت مرتجف: «لا يمكنك البقاء هنا، ما كان عليك القدوم إلى هنا، عليك الرحيل والعودة... إلى انكلترا... الليلة.»

حافظت سابين على هدوء صوتها: «ولما عليّ القيام بذلك؟»

زاد التوتر في صوت المرأة: «لأن وجودك هنا غير مرغوب فيه، عندما اتيت افسدت كل شيء، ذات القصة عادت لتتكرر من جديد، لقد رأيت كيف كان ينظر روهان اليك، وانا اعرف ما يعني هذا، لقد أتت.. ابنة ايزابيل... لتسرق رجلاً لامرأة أخرى، كما فعلت والدتك من قبل.»

ضحكت بخشونة وهي تقول: «لقد تبعتكما بذات الطريقة التي كنت اتبعها منذ سنين بعيدة، لقد رأيتكما معاً، لكنني لن اسمح لك ان تأخذي روهان، لقد منعت والدتك من القيام بذلك كل تلك السنوات والآن سأمنعك أيضاً.»

اصيبت سابين بالذهول، لكنها قالت بهدوء: «ماذا تعنين؟»

«ستتزوج انطوانيت من روهان، هذا ما خططت له... وهذا ما حلمت به كل تلك السنوات، لا احد ولا شيء سيقف في طريق تحقيق حلمي هذا، لا أولاد لدينا، لكن كان هناك انطوانيت، جميلتي، والأغلى على قلبي من أية ابنة كان يمكن ان انجبها. وروهان هو لها، كذلك الكروم... وكل شيء. كان غاستون على وشك ان يجعلها وريثته، حتى اتيت.»

تابعت بصوت كالفحيح: «عندما رأيتك على جانب الطريق كان ذلك كالكابوس الذي اصبح حقيقة، للحظة... آه، لقد اعتقدت انك ايزابيل نفسها، والتي تجرأت على العودة.»

كان أمراً مخيفاً الاستماع لذلك الصوت، في لحظة عالٍ وهستيري، وفي لحظة أخرى يفح كصوت الافعى، كانت سابين ترى القلق والغضب على وجه السيدة وهي تقف بوجه الباب، لم تحاول سابين ان تقترب من الباب، فمن المهم ان تبقى هادئة، وان لا تحاول اثارة غضب المرأة المنهارة الاعصاب.

قالت بهدوء: «انه أمر لا يعنيني من سيرث لاتور مونشوزيت، الا اذا كنت تعتقدين انني سأطالب بحصة فابيان لكني اقسم لك انني لا ارغب البتة باثارة هذا الموضوع.»

ضحكت السيدة بقسوة: «هل حقاً انت سانجة، يا آنسة؟ ولو كنت حقاً ترغبين برفض هذا الاعتراف، هل تعتقدين ان روهان سيسمح لك؟ أية قصة رومانسية انت بالنسبة إليه.»

قالت سابين بهدوء: «احببنا بعضنا، انه أمر لم نتوقعه نحن الاثنين ربما...»

«آه، ليس هناك مجال للشك ان روهان يريدك... حالما ادرك من تكونين وهو يعلم ذلك، لقد تحدث مع زوجي هذا اليوم، ولقد سمعتهما من وراء الباب، انه يعلم كل شيء.»

ردت سابين بقلق: «لا بد انه اشد حكمة مني، لأنني لا افهم شيئاً من كل هذا.» تنهدت بعمق وتابعت: «مهما يكن يا سيدتي، يجب ان تعلمي ان روهان لم يهتم ابداً لانطوانيت وانت لا تريدينها ان تتزوج من شخص لا يحبها.»

«هي تريده وهذا يكفي، احياناً في الحياة حب من طرف واحد يكفي.» اصبح صوتها مميتاً وهي تتابع: «كان روهان دائماً يريد لاتور مونشوزيت وكان سيتزوجها للحصول عليه، تماماً كما سيتزوجك الآن لأجله.»

رفعت سابين رأسها بحدة: «ماذا تعنين؟»

«هل انت حقاً غبية؟ بالطبع معك كان عليه ان يتظاهر... ان يلعب دور الحبيب، لقد كنتما معاً البارحة، أليس كذلك؟ لقد رأيته يعود هذا الصباح، وهو سعيد جداً من نفسه.»

«اعتقد ان هذا شيء يخصنا نحن الاثنين فقط.»

قالت السيدة بمرارة: «آه، نعم، مع روهان، كل شيء يتعلق بالاعمال، اما انه حقاً جعلك تصدقين ان هناك حب من النظرة الأولى، وانه وقع في حبك فجأة؟»

كان الوضع كمن يقع تحت الضوء على مسرح كبير،

والذي يظهر كل فعل وردة فعل، حاولت سابين جاهدة ألا تغضب من كلام السيدة، لكن احست بمرارة قوية في صدرها، فكرت انها لا تريد سماع المزيد من هذا الكلام، قالت بصوت عال ولكن ببرودة: «لا اعتقد ان هذا النقاش سيوصلنا إلى أية نتيجة، يا سيدتي، وانني لا ازال انتظر منك ان تفسري لي سبب حجزك لي هنا.»

قالت بصوت قوي كالصاعقة: «من اجل جعلك ترحلين، تماماً كما فعلت، وان لا تعودي ثانية.»

حبست سابين انفاسها: «هل تقولين انك حبست والدتي هنا؟»

رأت الرأس المتعالي ينحني قليلاً: «بالطبع، لكن في وضعها كنت املك القدرة على ان ابقيها هنا فترة اطول، كان فابيان مسافراً، وغاستون في بوردو لبعض الاعمال، لذلك لم يكن هناك احد يعلم بوجودها هنا.»

توقفت قليلاً وتابعت: «تكلمت معها من خلال الباب، وقلت لها انني لن اسمح لها بأن تأخذه مني، وانني سأفعل أي شيء... أي شيء لاحتفظ به.» بدا صوتها متأثراً فجأة: «في البداية، اخذت تناقشني وتعارضني، لم تكن تعلم، هل تفهمين، انني كنت اتبعهما، وانني رأيتهما هنا معاً... وكنت اعلم ماذا كانا يخططان.

بعدها خافت من البقاء هنا، وهكذا في النهاية، وافقت على القيام بما اريده منها، وابتعدت عن لاتور مونشوزيت إلى الأبد.»

انها مجنونة، هذه الفكرة لمعت برأس سابين بقوة، قالت بحذر: «كنت تريدين فابيان يا سيدتي؟»

تحرك الضوء فجأة بيدها بينما كانت تلوح بغضب واضح «فابيان؟ ما هذه الحماقة؟ لم يكن ابداً فابيان، كان ذلك مجرد ادعاء لتغطية حبها الحقيقي، لا. حبيب ايزابيل كان غاستون زوجي، وكان هو والد طفلها.»

شهقت سابين بصوت كاد يمزق حلقها: «لا، لا يمكن ان يكون كلامك صادقاً.»

قال روهان بهدوء: «آه، لكن هذه هي الحقيقة، ان والدك في القصر ينتظرك ليعترف بك ابنة له يا سابين.»

لم تسمع أية واحدة منهما خطوات اقترابه، صرخت السيدة بقوة، واستدارت. اخذ الضوء في يدها يرتجف وكأنه حيوان خائف، بينما اخذ روهان بيدها قال بنعومة ولطف: «لقد انتهى الأمر، سيدة هيلواز لم يعد هناك ما يمكن ان تقومي به.» نادى من وراء كتفه: «جاك... تعال ادخل وساعد السيدة.»

وقفت هيلواز دو روشوفور هادئة للحظة، بعدها غطت وجهها بيديها وبدأت بالبكاء بصوت قوي، كان من اسوء الاصوات التي سمعتها سابين طوال حياتها. وصل جاك بسرعة، قال باحترام وهو يقدم لها يده: «سيدتي، يجب ان تذهبي إلى القصر وترتاحي قليلاً، ارنستين والجميع قلقوا عليك كثيراً.»

بدا للحظة انها سترفض مساعدته، بعدها وافقت على الخروج وهي لاتزال تبكي وتنتحب.

اقترب روهان من سابين وهو يقول: «انت الآن بخير.»

قالت بذهول: «اعتقد ذلك، فقط اشعر بالذهول وببرد مخيف.» خلع جاكتته على الفور ووضعها حول كتفيها،

قال بلطف ونعومة: «لم اكن اريد ان تعلمي هكذا، لقد قررت ان اخبرك عن الأمر بنفسي.» توقف ليسأل: «كيف تمكنت من احضارك إلى هنا؟»

تنهدت بقوة وقالت: «لقد وجدت رسالة في المنزل، اعتقدت انها منك، لقد حبست والدتي هنا منذ سنين... وهددتها، هذا هو سبب رحيلها المفاجيء.»

«لم يكن هذا هو السبب الوحيد، كان هناك اسباب أخرى، الطفل الذي كانت تحمله، مثلاً من المؤكد انها لم تكن ترغب في ايذاء فابيان بذلك.»

شعرت ببرودة قاتلة وهي تقول: «منذ متى علمت... ان غاستون هو والدي؟»

«علمت بالتأكيد عندما عرضت عليّ الصور، وادركت ان غاستون وليس فابيان هو من احتفظت بصورته كل تلك السنوات، هذا اليوم اخبرته عن شكوكي، ولقد اعترف بكل شيء، اعتقد ان ذلك جلب له بعض الراحة... بعد كل هذا الوقت.» صمت لفترة وتابع بهدوء: «انها قصة مؤلمة وحزينة، بعض فصولها سيصدمك.»

قالت بمرارة: «لا اعتقد انني استطيع تحمل المزيد من الصدمات انها سيئة كفاية ان اعلم ان ايزابيل كانت على علاقة مع رجل متزوج بينما كان من المفروض انها خطيبة لشقيقه، اشعر بأن المرأة التي احببتها وعشت معها لم تكن موجودة.»

قال: «تكلمي مع والدك قبل ان تحكمي عليها بكل هذه القسوة.»

لم تنظر اليه وهي تجيب: «هل عليّ ذلك؟ اشعر انني كل

ما اريده هو ان اترك هذا المكان... وان لا أراه ثانية... ولا أي شخص من هنا أيضاً.»

قال: «اعتقد ان هذا أمر ضروري، انت من كان في النهاية يبحث عن الحقيقة، ولا يمكنك الآن ان تتهربي منها، حتى ولو لم تكن كما كنت تتوقعين.»

«لا، كيف... كيف علمت بمكاني؟»

«كنت في طريقي إلى منزلك عندما رأيت ضوءاً بين الاشجار، التقيت بجاك الذي اخبرني ان السيدة هيلواز، والتي صعدت إلى غرفتها بسبب صداع قوي، قد اختفت أيضاً وان ارنستين قلقة جداً عليها.» توقف قليلاً ليتابع وهو ينظر إلى الوردات الثلاث: «بعدها رأيت هذه.»

للمرة الأولى رأت انه كان يحمل بيده الوردات التي القتها من النافذة. قدمهم لها، فنظرت اليهم بدون أي احساس كانت الوردات ممزقة.. وكأنها قطفت منذ ايام لكن اشواكها ما زالت قاسية وحادة.

ما ان استدار روهان ليغلق باب البرج وراءهما، حتى تركت الوردات تسقط على الأرض ثانية، الاسطورة... تلك القصة الرومانسية قد انتهت، كان رأسها يضج وهي تسير بجانبه نحو القصر. كانت تشعر بصراع غريب في داخلها، انه ليس ذلك الخوف من الحقيقة التي ستواجهها، انه شيء اهم من ذلك بكثير، انها ابنة غاستون دو روشوفور، وروهان يعلم ذلك.. لقد علم بذلك عندما قرر ان يصبح حبيبها، كان يعلم بذلك عندما بدآ يخططان معاً لحياتهما معاً في المستقبل.

عادت كلمات السيدة هيلواز تدور في خاطرها: «مع روهان، انها دائماً اشياء لا تتعلق الا بالاعمال.»

انه يريد لاتور مونشوزيت، انه اغلى ما يريده طوال حياته، «هذا ما يهم بالنسبة لروهان... الكروم.» هذا ما قالته لها انطوانيت ذلك اليوم في مونبازيي، في ذلك اليوم عرضت عليه الصور...

فكرت، لكنني لم اصغِ اليها، لأنني لم اكن اريد ان اسمع، فضلت ان افكر انها مجرد فتاة حقودة وامرأة تغار، اردت ان اصدق ان هذا الرجل... هذا الغريب... قد رآني وارادني، كنت احتاج إلى قصة رومانسية لي... قصة حياتي. وان اراها تحدث معي بكل ما فيها من جمال وخيال، وانهما عاشا معاً في سعادة ورخاء حتى آخر العمر.

شعرت بألم حاد في حلقها، ارادت ان تصرخ بصوت عالٍ، ان تضربه بقبضتيها لأنه حطم حلمها، شدت على راحتها باظافرها وهي تحاول ان تسيطر على نفسها.

فكرت، لأنه لن يفهم سيعتقد انها لا تتحلى بالمنطق الكافي، فالفرنسيون شعب عملي، وهم يعلمون قيمة الأرض وقيمة الارث، فهم يعقدون الصفقات لأجل ذلك، وهي الآن جزء من هذا الاتفاق. لقد وضعت الخطة في الاصل ان يتزوج روهان من انطوانيت، لأنها ابنة شقيق السيدة هيلواز، وليست قريبة غاستون، فان الدولة ستتقاضى الكثير من الاموال من جراء تنفيذ الوصية، بينما ابنته... ستكون الكلفة اقل بكثير.. واذا كانت ساذجة كفاية لتقع في حبه... فمن الافضل ان يتم الأمر كذلك، في هذه الحالة يحصل على كل ما يريده. لقد كانت غبية جداً وحالمة جداً لتدرك ذلك.. حتى الآن.

كانت تشعر بالدموع في داخلها، تنهمر بغزارة داخل

صدرها، تمزق ضلوعها، وتحرق عينيها، لكنها لم تكن تستطيع ان تذرف الدمع امامه، ان ما يحدث لها هو كابوس خاص بها، والذي ينتظرها في القصر هو شيء اكثر عمومية، وهذا ما عليها مواجهته قريباً.

عندما وصلت رأت كل النوافذ تشع بالانوار، اخذها روهان إلى الصالون في الطابق الارضي، فكرت وهي تدخل ان ذلك الاحساس بالراحة الذي شعرت به من قبل هو مجرد لوحة من شمع.

كانت هيلواز دو روشوفور تجلس في كرسي وكأنها حيوان مجروح، وإلى جانبها وقفت انطوانيت جامدة، وإلى الجانب الآخر، جلست ارنستين تتحدث بصوت منخفض يقطعه نحيب السيدة هيلواز، جلس غاستون دورشوفور على الكرسي المتحرك بجانب المدفأة. رأت قطع الخشب في داخل المدفأة، وشمت رائحة الخشب في ارجاء الغرفة.

لو كانت تستطيع لكانت استدارت وهربت، لكن يد روهان على كتفها، كانت تدفعها إلى الامام بلطف ولكن بثبات.

قال غاستون بصوت يرتجف من العاطفة: «طفلتي، ابنتي.» امسك بيديه ذراعي الكرسي، ورفع نفسه إلى الامام، كان وجهه قوياً ومليئاً بالتصميم، ساد الصمت الرهيب في الغرفة، بدأ غاستون بالسير، يدفع قدميه بألم قوي وبصعوبة نحو سابين.

صرخت هيلواز دو روشوفور، وغطت فمها بيدها، قالت سابين وهي تنظر إلى روهان: «آه، ساعده امسك به... سيقع.. سيؤذي نفسه.»

هز روهان رأسه نافياً، وظهرت ابتسامة غريبة على

وجهه. «لا، تلك الكرسي كانت وسيلة للهروب، عذره الوحيد للتهرب من الحياة، لقد مر على ذلك سنوات، لكنه كان بحاجة إلى دافع قوي ليخلصه من كل عذابه، لقد حققت له ذلك، يا سابين وسيصبح بألف خير الآن.»

كان غاستون دو روشوفور متعباً جداً، واصبحت جبهته تنضح عرقاً عندما وصل اليها، لكن الذراعين اللتين ضمتا سابين كانتا قويتين ولا أثر للضعف فيهما، ورأت سابين الدموع بعينيه.

قال بحزن واضح: «صغيرتي، لو انني فقط علمت... لو ان ايزابيل اجبرت نفسها لتخبرني.»

سمعت سابين السيدة هيلواز تئن بتعب واضح وقالت بصوت مرتجف: «انا لا افهم اذا كنت على علاقة معها... لا بد انك كنت تعلم... لا بد انها قالت لك شيئاً.»

اغمض غاستون عينيه، وكأنه يحاول الهروب من ذكرى لا تحتمل: «لا... لم يكن الأمر كذلك، لم يكن هناك... أية علاقة.» توقف عن الكلام، ليتنفس بصعوبة. «هل نستطيع... الجلوس؟»

امسك روهان بذراعه وقاده إلى الاريكة جلست سابين بجانبه، ويداه تحتضنان يديها، كانت الغرفة دافئة، لكنها شعرت بالبرد، بينما كانت عينا والدها تنظران اليها بحزن.

قال، بعد فترة قصيرة: «انه ليس بالسهل عليّ، ان اتحدث عن امور ارغب كثيراً بنسيانها... التحدث عن ذنوبي... عن عار قمت به.» عض على شفته قبل ان يتابع: «اعتقد انني احببت والدتك دائماً، حتى عندما كنت طفلاً كنت اهتم لها، وابيان أيضاً، بالطبع، لكن كان يبدو انها كانت تفضلني

انا... أو هذا ما كنت احب التفكير به، كان والدانا مهتماً جداً باهتمامنا بها، مع انهما كان يفهمان السبب، كانت جميلة، انسانة جيدة، ورائعة وبريئة أيضاً، كل رجل يتمناها ويفخر بها طوال حياته... ما عدا، بالطبع انه من عائلة دو روشوفور صاحب لاتور مونشوزيت كان من المفروض عليّ وعلى فابيان ان نتزوج من عائلات معروفة وكبيرة، وابنة القائم باعمالنا لم تكن الدافع للزواج الذي يشرف العائلة، لذلك ما ان اصبحت ايزابيل شابة، حتى قررت ان تتابع حبها للفن بارسالها إلى باريس... بعيداً عن أي عمل نقدم عليه انا وفابيان.

توقف ثانية ليرتاح قليلاً، قبل ان يتابع: «قرر والدي مع هيرقل ان يدفع لها اقساط الجامعة، لقد اتفقا معاً انه من الافضل للجميع ان تبتعد ايزابيل، لكنني لم انساها ابداً... ولا فابيان أيضاً.»

«مر الوقت سريعاً، واصبح هيرقل مريضاً، عندها عادت. كلانا أنا وفابيان اصبحنا أكبر، اقسى ربما، لكنها لم تتغير على الاطلاق، ومن اللحظة التي رأيتها فيها علمت انني ما زلت احبها، وان بعادها لم يعمل الا على زيادة حبي لها.»

سمعت سابين انيناً صادراً عن السيدة هيلواز.

تابع حديثه وكأنه لم يسمع شيئاً: «لم يمض وقت حتى ادركت ان فابيان يملك ذات الشعور لها، وهو كأرمل، كان حراً من ان يتقدم لها، وان يطلب يدها للزواج، اصبت بغيرة قاتلة، قررت ان اقابل ايزابيل بمفردها واخبرها عن شعوري نحوها.

غضبت كثيراً وصدمت من كلامي، ذكرتني انني رجل

متزوج ومنعتني من الاقتراب منها أو التكلم معها ثانية في هذا الموضوع، لكن في ذات الوقت علمت انني جعلتها تفكر في الايام الماضية، في العاطفة القوية التي كانت تجمعنا، جعلتها تسأل قلبها.»

هز رأسه بعصبية: «بعد ذلك، اصبح الأمر كالمطاردة، لم اكن اتركها بمفردها، لقد قلت لنفسي انني لن اتركها... سأجعلها تعترف بما نعرفه معاً... بأنها تحبني انا، وليس فابيان.

اقنعتها مرة أو مرتين لتلاقيني في البرج، كان ذلك مكاننا الخاص منذ ايام الطفولة، كانت دائماً حزينة، فأنا رجل متزوج، وما كان علي ان الاحقها هكذا، طلبت مني وهي تبكي ان اتركها بمفردها... ان ابتعد عنها وادعها تعيش بسلام.»

قالت هيلواز دو روشوفور بعصبية: «هل تعتقد انني غبية؟ اننا جميعنا اغبياء؟ لقد كانت حبيبتك.»

هز غاستون رأسه نافياً: «كنت مخطئة، يا هيلواز، لم تكن ايزابيل مذنبة، انا من يقع عليه اللوم بكل شيء حتى عندما اعلنت هي وفابيان انهما اصبحا مخطوبين لم اتوقف عن ملاحقتها، كانت تعيش هنا في القصر، تساعد في تربية الاطفال، لكنها انتقلت إلى ليه هيبو لتهرب مني، كنت اعلم انها فعلت ذلك لأنها خائفة... ليس فقط مني، بل أيضاً من احساسها نحوي.

لا يمكن التخلص من الحب الأول بسهولة، واصبح موعد زفافهما قريباً، كدت اصاب بالجنون من كثرة تعلقي بها.. واشعر بالرعب من خسارتها إلى الابد، توسلت اليها ان

تقابلني لآخر مرة في البرج.» توقف قليلاً ليتابع: «عندها اخبرتها انني سأطلق زوجتي واتزوجها.»

ساد صمت ثقيل في الغرفة وكأن كلماته سقطت كالحجارة، تحركت السيدة هيلواز على كرسيها بتوتر، بعدها عادت إلى الهدوء ثانية.

تابع غاستون بصعوبة: «قلت لها انني اعلم انها تحبني، وهي لم تنكر ذلك، قالت ان ذلك وهم سيدمرنا معاً. وقالت ايضاً انها تحب فابيان وتريد ان تصبح زوجته، وان تبني مستقبلها معه، قالت لي كما كانت تقول دائماً، ان السعادة لا تبنى على تعاسة الآخرين، وان هيلواز تغار منها وهي غير مرتاحة لتاثيرها وحبها للاطفال.»

قالت السيدة هيلواز: «كنت اكرهها، حتى عزيزتي انطوانيت كانت تفضلها عليّ، قالوا لي الاطباء انني لن اتمكن من انجاب طفل في حياتي كلها، كانت انطوانيت كل ما املك، وكنت احبها وكأنها ابنة لي، وكان عليها ان تبادلني هذا الحب... لكن كان هناك دائماً... دائماً ايزابيل.» رفعت صوتها اكثر. «لقد سرقت زوجي، ولن اسمح لها ان تاخذ مني انطوانيت أيضاً.»

نظرت إلى الفتاة بجانبها، كان انطوانيت شاحبة جداً، واعصابها مشدودة بشكل واضح، لكن عندما امسكت عمتها بيدها لم تسحبها منها.

بعد فترة من الصمت تابعت هيلواز: «كنت اعلم ان غاستون قد سئم مني... وانه يريد ان ينهي زواجنا... ولم اكن استطيع ان اخسره، حتى انه اعطاها هذا.» امسكت بالميدالية الفضية: «لكن كما كان هو يحبها كنت أنا احبه،

كنت قادرة على القيام بأي شيء للحفاظ عليه.. أي شيء...»

قال غاستون بلطف: «لم يكن هناك من حاجة، لقد رفضتني كلياً، قالت انها تعرف انها وفابيان لن يستطيعا العيش في لاتور مونشوزيت بعد زواجهما... وانهما قد تحدثا معاً بشأن ذلك وقررا الرحيل، ربما إلى اوستراليا أو كاليفورنيا حيث يبدآن حياة جديدة، وان احدى اسباب سفر فابيان هو للبحث عن حياة لائقة وسعيدة لهما.»

تابع بصوت غامض وكأنه يهمس: «اعتقد، انني في تلك اللحظة اصبت بالجنون، كل تلك السنوات من الحب وفي النهاية لا احصل على شيء، حبي ووجودي رأيتهما امامي يضحكان مني، كنت دائماً احترمها... ولا اقترب منها... حتى تلك اللحظة...»

ارجع رأسه إلى الوراء وهو يحدق امامه، كانت عيناه مليئتين بالحزن والألم، تابع بهدوء: «لقد عانقتها بالقوة، كانت تبكي وتصرخ، لكنني لم اهتم لها، كنت قوياً في تلك الايام، قوياً جداً، واذا كانت ستصبح زوجة فابيان، فهي ستكون لي اولاً، لم اكن افكر بشيء آخر لم اكن اهتم لشيء آخر.» بعدها صمت فجأة.

ابعدت سابين يديها عنه، وحدقت به غير مصدقة، قالت بصوت بالكاد يسمع: «كنت تحبها.. وفعلت ذلك؟ كيف يمكنك؟»

«اعترف انه أمر لا يصدق، لكنها الحقيقة على الرغم من حزني واسفي، كانت تلك المرة الوحيدة، وذكراها ما تزال تعذبني طوال حياتي.» تنهد بقوة وتابع: «بعد ذلك لم تنظر

إلي ولم تكلمني لفترة طويلة، واخيراً كل ما قالته: يجب ألا يعلم فابين بذلك، يجب ألا يعلم أبداً.»

هز رأسه وتابع: «لم ارها ثانية بمفردها، مع انني حاولت كثيراً. لقد فكرت يومها انها اصبحت لي، وانه لا يمكنها الزواج من فابيان.» ضحك بمرارة: «لقد كنت في هذا على حق لكنني لم اكن اعتقد انها ستتركنا وتهرب منا نحن الاثنين... واننا سنخسرها إلى الابد.» استدار ونظر إلى المرأة المنهارة على الكرسي المقابل، قال بصوت متأثر: «على الأقل اصبحت اعرف الآن لماذا رحلت بعيداً.»

نهض وهو يحرك كتفيه: «لقد اخذت معها سر طفلنا، لم تعد تستطيع التحمل... العداوة والاحساس بالذنب والارباك، وبالطبع، الشجار المحتوم بيني وبين فابيان عندما ستظهر الحقيقة.

لقد حاولت زوجتي المسكينة ان تخيفها وتجبرها على الرحيل، كان هذا اكثر مما تستطيع ان تتحمله... فالرحيل والاختفاء بدون أي اثر بدا لها الحل الوحيد.»

تنهد وهو يتابع: «بعدها عاد فابيان من سفره واصبح مجنوناً لرحيلها، وهذا أمر طبيعي، كان أيضاً مليئاً بالشكوك، اخذ يسأل اسئلة لا اريد سماعها، ويتهمني باشياء لا اريد مواجهتها، ويأخذ مني اجوبة لا اريد ان اتكلم عنها.» اغمض عينيه للحظة «شجارنا كان مخيفاً... ولا يحتمل، ما زلت احمل اثار احتقاره وغضبه.»

هز رأسه: «للحظة اعتقدت انه سيقتلني، وبطريقة ما تمنيت لو انه يفعل، لأن العقوبة التي كنت احملها كانت

أسوء. فرض عليّ العيش مع ذنبي... اصبحت حياتي لا تطاق، اخذت اتصرف بعدم مسؤولية واخاطر بحياتي كثيراً، وهذا ما اوصلني إلى هذه الكرسي.

لكن على الرغم من ذلك لم يتحدث فابيان معي مطلقاً طوال حياته. جعل الأمر واضحاً انه سيبقى في لاتور مونشوزيت من اجل الاهتمام بالكروم... ولأنه كان متأكداً ان يوماً ما... وبطريقة ما.. ستعود ايزابيل اليه... وان عليه ان يكون هنا.. بانتظارها.»

نظر إلى سابين، قال بمنتهى الجدية، وعيناه تترجاها. «هل يمكنك ان تغفري لي، يا طفلتي؟ ام انك ستديرين ظهرك لي وترحلين، وتفرضين عليّ عذاباً أليماً لا ينتهي؟»

حدقت سابين بيديها، كانت مدركة تماماً ان روهان يراقبها باهتمام، كان ينظر اليها بوجه متجهم وحزين.

قالت بهدوء: «لا، لا يمكنني ان افعل ذلك، لقد شاهد هذا القصر الكثير من الألم والعذاب، وانني غير مستعدة لأضيف أي نوع من العذاب.» نظرت إلى السيدة دو روشوفور وتابعت: «نحو أي شخص كان.»

قالت هيلواز بقوة: «ما كان عليك القدوم إلى هنا، كل الأمور كانت على ما يرام حتى اتيت.»

تنهد زوجها بتعب: «لا، عزيزتي، لم يكن هناك شيء على ما يرام، لكن الآن، ربما قد نحصل جميعنا على فرصة جديدة. قد تبدأ الجروح القديمة بالشفاء؟» امسك بيد ابنته، وقال: «غداً سأرسل وراء المحامي، واعمل على الاعتراف بانك ابنتي رسمياً.»

عضت سابين على شفتها بقوة مؤلمة ثم قالت: «هل هذا

حقاً ضروري؟ الا نستطيع ان نترك الأمور كما هي... ونتمتع بالحقيقة اننا قد وجدنا بعضنا؟» تابعت: «اقصد... انك بالكاد تعرفني..»

ابتسم غاستون: «هذا أمر اتمنى التعويض عنه.» امسك يدها وتابع: «اتمنى لو انك تبقين هنا معي، وتأخذين مكانك كابنتي، وترثين املاكي.»

تحرك روهان بسرعة وبقلق كان هناك صمت مطبق في الغرفة، كل شخص كان منتظراً لسماع كلامها، لتبتسم... لتفرح.

في النهاية قالت: «سأزورك باستمرار، اعدك بذلك، ما ان استطيع ذلك، لكنني لا استطيع البقاء هنا، لدي حياة في انكلترا... وعمل عليّ العودة اليه، اعتقد ان عليك البقاء على مخططك القديم في ما يخص بتوزيع املاكك.» نظرت بسرعة وبتعبير واضح نحو انطوانيت، التي حدقت بها بالتالي، وتابعت: «لقد اتيت إلى هنا للحصول على بعض الاجوبة، ولا شيء اكثر.»

قال روهان: «ليس الأمر بهذه البساطة يا سابين.»

هزت كتفيها: «هذا لسوء الحظ لأنني لا اريد لاتور مونشوزيت هناك كثير من القيود والعذاب مرتبطة به.» ضحكت ضحكة صغيرة وتابعت: «كما وانني، لا أرى نفسي اعيش في ارض زراعية.»

قال روهان بقسوة فجأة: «يمكنك ان تتعلمي.»

لم تنظر اليه وهي تقول: «اعتقد ان لدي الكثير من الدروس لأتعلمها لفترة طويلة، احتاج للحياة التي اعرفها، للحياة التي بنيتها لنفسي، وهي التي تعود لي.» سمع طرق

على الباب ودخل جاك قال باحترام: «لقد وصل الطبيب ليعاني السيدة دو روشوفور.»

«بالطبع... ارنستين.. انطوانيت، هل يمكنكما مساعدة زوجتي لتصل إلى غرفتها، من فضلكما؟»

جرت السيدة نفسها جراً، قالت بضعف واضح: «كل ما فعلته من اجلك، يا غاستون، كل ذلك من اجلك.»

«افهم ذلك، عزيزتي، سنتحدث بالأمر غداً... عندما ترتاحين قليلاً.»

ارادت سابين ان تصرخ، لا تتخلى عنها الآن، انها بحاجة إليك، لا تبتعد عنها وتهتم بي، كما فعلت مع ايزابيل، كل الذي قالته كان «اعتقد انني سأعود إلى ليه هيبو الآن.»

قال والدها معترضاً: «مكانك هنا.»

حاولت ان تبتسم: «في هذه اللحظة، لا اشعر بقاً، انني انتمي إلى أي مكان، احتاج ان اكون بمفردي لفترة... كما اعتقد، انني ما زلت غير مصدقة كل الذي حدث معي.»

امسك بيدها وقال: «لكنك ستأتين إليّ غداً.»

قالت وهي تسحب يدها: «نعم.» هذا ما تستطيع تأكيده ولا شيء آخر.

انتظرت حتى غادرت السيدة هيلواز بحزن وتعب، بعدها سارت نحو الباب، سمعت من ورائها، روهان يقول شيئاً بغضب وبقوة لوالدها، بعدها سمعت خطواته يتبعانها.

شعرت بألم في حلقها وغصة قوية، ما ان اغلق باب الصالون وراءهما، حتى استدارت لمواجهته.

«اعتقدت انني قلت انني اريد ان اكون بمفردي.»

قال ببطء: «لم ادرك انني معني أيضاً بهذا الكلام. لم يعد

هناك مخاوف ولا اسرار.» ابتسم لها وقال واعداً بلطف: «سآخذك إلى عالمي... عالمنا الذي سنعيش به معاً.» اتسعت ابتسامته وهو يقول: «ربما استطيع ان اقنعك ان الحياة كزوجة ملاك للكروم رائعة جداً.»

ابتعدت عنه، عن ابتسامته الحارة وقالت: «لا.» كم هو متاكد من نفسه، كم هو متاكد من انه سيتمكن من اقناعها، أيضاً، لن يحدث هذا مطلقاً.

اختفت الابتسامة عن وجهه، ليصبح متجهماً فجأة: «لا اعتقد انني افهم ماذا تقولين.»

هزت بكتفيها وقالت: «أنا لا انتمي إلى هذا المكان، انني دخيلة، انا لا اريد لاتور مونشوزيت، أو أي جزء منه، دع انطوانيت تاخذه، كما كان المخطط سابقاً.» توقفت قليلاً قبل ان تتابع: «ويمكنك ان تتزوج من انطوانيت.»

ساد صمت طويل بينهما، حدق بها، وقال ببطء أخيراً: «انت لا تعنين ما تقولين.»

قالت بقوة: «آه، اجل اعنيه تماماً، ليس على والدي الاعتراف بي، فأنا منذ ساعات قليلة لم يكن يعلم بوجودي مطلقاً.»

«لكن كل هذا تغير الآن...»

هزت رأسها بقوة وقاطعته قائلة: «لا، انا لن اهجره، لقد اعطيت كلمتي بهذا، ساكتب له دائماً... وسأزوره باستمرار، لكنني ساعود إلى انكلترا... لابقى هناك، لأعيش حياتي، حياتي الحقيقية.»

سأل بخشونة: «وماذا عن حياتنا نحن الاثنين؟ عن خطتنا للمستقبل؟»

نظرت بعيداً إلى الباب: «انها... انها لم تكن موجودة، لقد تركت نفسي اعيش بالخيال، بقصة حالمة، كل انسان يحلم بالحصول على قصة رومانسية في حياته، بالتاكيد.»

قال غير مصدق: «هل هذا ما تعتقدينه؟»

«نعم، بالطبع.» اجبرت نفسها على الابتسام: «لقد كان ذلك رائعاً... لفترة والآن انتهى الأمر.»

قال ببرودة كالثلج: «شكراً لك.»

احست بغصة في حلقها، لكنها قالت: «لكن عاجلاً ام آجلاً على الانسان ان يعيش الحياة بواقعية، وان يستيقظ من احلامه، ما ان ارحل حتى تعود كل الأمور إلى سابق عهدها وبسرعة قصوى.» هزت كتفيها وقالت: «بعد كل شيء... الحياة تستمر، ولقد سببت ما يكفي من الأذى بقدومي.»

قال بتجهم: «حسناً، هذا شيء نستطيع الموافقة عليه معاً، ماذا تريدين مني ان افعل، يا سابين؟ ان اتوسل اليك لتبقي؟»

احست بألم عميق في صدرها. «لا.» كان هذا نوعاً من العذاب لا تستطيع ان تتحمله، كانت تحلم بالبقاء بقربه، لكن هذا سينفي كل المنطق وكل احساس بالمسؤولية لديها، لقد سمحت لنفسها ان تنخدع سابقاً ومن اجل سلامتها... من اجل عاطفتها القوية نحوه.. لن تسمح لنفسها ان ترضى بذلك، انه لا يريد الا ميراثها، وليس هي، هذا ما عليها ان تتذكره ومهما كان ذلك مؤلماً.

قالت بصوت مخنوق: «ارجوك لا تجعل الأمور اكثر صعوبة مما هي عليه، روهان لقد انتهى الأمر.»

توقفت وهي تفكر بيأس، كم كانت ساذجة، ان تعتقد ان روهان قد يقع بحبها.

تابعت: «كان ذلك مجرد حلم، لأن أموراً كهذه لا تحدث، ليس لانسان مثلي، بكل الاحوال...» واختفى صوتها في صمت مطبق.

لم يتحرك وهو ينظر اليها مستغرباً، وعندما تحدث قال ببرودة قاتلة: «لا، انت محقة، أمور كهذه لا تحدث.»

امسك بيدها، قبلها بسرعة، وخرج مبتعداً.

الفصل العاشر

أوقفت سابين السيارة امام مدخل القصر الرئيسي، وتنفست بعمق. إنها اللحظة التي كانت تخشاها.

قالت لنفسها، لكنني قطعت كل هذه المسافات، كان يمكنني ألا احضر. تنهدت بعمق، بعدها سارت على مضض نحو الباب الخشبي الكبير ودقت عليه. عندما فتح الباب شاهدت ارنستني متجهمة الوجه فتفاجأت سابين لرؤيتها. كانت تظن انها قد رافقت هيلواز دو روشوفور إلى عيادة خاصة في سويسرا حيث تتلقى علاجاً باهظاً لتريح اعصابها.

في هذه الظروف لن تتوقع ترحيباً حاراً، بينما كانت ارنستين تقودها إلى الصالون حيث كان غاستون دو روشوفور ينتظرها. نهض عن كرسيه وعانقها بحرارة: «ها قد أتيت أخيراً، كنت خائفاً من ألا تحضري.»

اعترفت، وهي تبتسم وكأنها تعتذر: «لقد فكرت بذلك، لكنني وعدت ماري كريستين انني سأكون هنا يوم زفافها، كما وانني..» ترددت فتابع والدها عنها وهو يضحك من دهشتها: «كما وانك، قد وعدتها بأنك ستعيرها بيتك ليلة زفافها.»

«كيف عرفت؟ يفترض أن يكون ذلك سراً لا يعرفه أحد.»

«لن يعرف أحد ذلك مني. واعتقد أن العروسين سينعمان بفترة هادئة ولن يصلهما ابداً الحساء المعد لهما.» عرض

عليها الكرسي المواجه له لتجلس عليها، نظر إليها متفحصاً وقال: «لقد فقدت الكثير من وزنك.»

قالت بتحفظ: «حقا؟» لكنها كانت تعلم انه كان على حق. كان يبدو ذلك جلياً على وجهها، وعلى السواد البادي تحت عينيها والذبول على خديها.

قال باهتمام: «ماذا كنت تفعلين؟»

قالت: «اعمل.» لقد كانت سعيدة بأن تجد الكثير من العمل بانتظارها عندما عادت إلى انكلترا. ان العمل هو الدواء الشافي الوحيد للتخلص من الحزن، لكن لم ينجح معها هذه المرة. فقد رمت بنفسها في اعمال لا تنتهي، بدون اية راحة. كانت تريد أي شيء... أي شيء يمنعها من التفكير.

أضافت: «وافكر.»

عقد غاستون حاجبيه، لكنه لم يصل إلى افتراض يخيفها.

قال: «يجب ألا تضعي اللوم عليك. كان من المفروض على الحقيقة ان تظهر. لقد عاملنا كلنا امك بطريقة سيئة وحان الوقت لتصليح ذلك.»

سألت بقلق: «على الرغم مما حدث؟» لقد صدمت عندما سمعت ان هيلواز في المستشفى، مع ان رسائل غاستون التي كان يرسلها كانت تطمئنها عن الوضع وكان متفائلاً جداً حيال الموضوع.

هز والدها رأسه ببطء: «على الرغم من ذلك.» توقف عن الكلام ليقف قليلاً. تعجب اطباؤه من سرعة تطور صحته، لكنه كان لا يزال يجد بعض الحركات صعبة عليه، قال: «هل تريدين ان اسكب لك شراباً؟»

طلبت سابين شراب الفراولة، وعادت تجلس في كرسيها، محاولة ان ترتاح، لكن كان مستحيلاً. كانت اعصابها مشدودة، تصغي، وتنتظر لتسمع وقع خطوات، أو صوت روهان.

فكرة مواجهة روهان مجدداً كادت ان تبقيها في انكلترا. رؤيته في الزفاف أمر تستطيع تحمله. فهناك ستجد كثيراً من المدعوين وبذلك ستتخلص من تأثير حضوره. يمكنها أن تختبيء بين الناس وتبتعد عن مكان وجوده. لكن العشاء في القصر كان أمراً مختلفاً... لأنه سيكون ذلك المرة الأولى التي تراه فيها بعد أن خرج من هذه الغرفة في تلك الليلة المخيفة.

لقد غادرت إلى انكلترا بعد يومين، وقد امضت معظم ذلك اليومين مع غاستون. لكن روهان لم تستطع ان تلمحه. كان وكأنه تبخر في الهواء. كبرياؤها والمها منعاها عن السؤال عنه، كما أن غاستون لم يخبرها بأية معلومات عنه، وبذلك بقي أمر غيابه غامضاً.

من المؤسف، انها اجلت أمر ذهابها إلى بوردو إلى آخر لحظة، وبقيت تتجول حول ليه هيبو، متمنية انه سيحضر لرؤيتها، ليودعها على الأقل، حتى ولو أنها لا تتمنى أكثر من ذلك.

حتى في المطار كانت تتخيل انه سيظهر من مكان ما، وانه سيمنعها بطريقة ما، من الرحيل. كان ذلك أمراً مؤسفاً، هي تعلم ذلك لكنها لا تستطيع أن تنكر ذلك، كان يبدو لها أن قلبها وروحها تبكي لأجله.

لو أنه كان يحبها... لو أنه يهتم لها، لكان هناك، هذا ما

كانت تقوله لنفسها، ما أن اقلعت الطائرة. حتى أدركت أنه تركها ترحل بسهولة. كان تصرفه برهاناً أكيداً أنه ما كان يهتم لأمرها لولا الميراث الذي كانت ستحصل عليه.

إنه ميراث لاتور مونشوزيت الذي يريده. حسناً، إنها تتمنى السعادة لانطوانيت معه. ربما تلك الفتاة لا تمانع أن تكون جزءاً من صفقة. ربما الحصول على روهان وأن تصبح زوجته كان أمراً كافياً لها، ولا يزعجها أبداً أن تحتل المركز الثاني في حياته.

قالت بغضب لنفسها، أنا أهتم، أريد كل حبه وليس جزء منه. منذ عودتها إلى انكلترا، كان وجودها أكثر من كابوس دائم. كان روهان يملأ فكرها، في يقظتها ونومها، كانت روحها تبكي عليه، وقلبها دائماً معه. وكأنها عاشت للحظة في النعيم، وحرمت منها إلى الأبد.

كانت تعلم أن كل ذلك حماقة منها. لقد حاول روهان استغلال عواطفها لمصلحته. لكن كل هذه المعلومات لم تستطع أن تخفف من ألم فقدانه.

أمسكت بالشراب الذي قدمه لها غاستون وشربت منه وهي تبتسم. عاد ليجلس أمامها ويقول: «هل أنت سعيدة بحياتك في انكلترا؟»

رفعت ذقنها وقالت: «جداً.»

«يسعدني ذلك.» رأى نظرة الشك في عينيها فرفع يده وتابع: «إنني أقصد ذلك بالتحديد. أريد أن تكوني سعيدة، حتى ولو كانت سعادتك ببعادك عني، وعن الميراث الذي قدمته لك.» حدقت في كوبها وقالت: «لم يكن ذلك معقولاً... من جميع النواحي.»

تنهد قائلاً: «إنك محقة. كل حياتي وأنا احاول أن اسيطر على الناس... وأن أسيرهم حسب إرادتي. لقد تعلمت أخيراً، وبمرارة، انني لا يمكن أن أفعل ذلك. لكنني ما زلت أتمنى لو قبلت دعوتي للبقاء هنا لحضور الزفاف، بدلاً من الفندق.»

شعرت سابين بغصة وقالت: «لم يبدُ ذلك مناسباً في ظل هذه الظروف.»

«احترم تحفظاتك. ومتى ستعودين إلى انكلترا؟»

«أخشى أن أقول، على الفور بعد الانتهاء من الزفاف. لا استطيع ان ابتعد عن عملي لفترة طويلة.»

«لكن فيما بعد، ربما في تشرين الأول (اكتوبر) يمكنك العودة عندها؟ تقام الاحتفالات دائماً في هذه الفترة. نقيم حفلات كبيرة للعمال في المنطقة. ستفرحين كثيراً بذلك.»

بدا الألم واضحاً على وجهها: «لا أستطيع أن أعدك. إن لدي عمل علي القيام به لاتمكن من العيش.»

سمعت الباب من ورائها يفتح، فتوترت على الفور.

قال غاستون: «آه، ارنستين، هل حضرت لتقولي لنا ان العشاء أصبح جاهزاً؟» كان يستعمل عصا ذات رأس فضي يستند عليها حتى يصل إلى غرفة الطعام. قال، ما أن لمح نظرة الاستغراب على وجه سابين عندما رأت صحنين فقط على الطاولة الكبيرة: «سنتناول العشاء معاً الليلة، انطوانيت موجودة عند اصدقائها في باريس هذه الأيام.»

«روهان؟» قالت ذلك بصورة لا إرادية، كانت تفضل لو قطع لسانها قبل أن تسأل.

ردد غاستون: «روهان؟ لماذا، روهان قد عاد إلى هوت. مادوك. إنه الآن في آرينسي مع جده.» لوح بيده إلى الكرسي وقال: «اتمنى ان يعجبك العشاء.»

• • •

فكرت سابين في اليوم التالي، إن غرفة النوم للعروسين تبدو جميلة. كان غطاء السرير من الحرير المطرز جميل جداً والذي احضرته من انكلترا كهدية لماري كريستين وجاك وضعت اكثر من مزهرية مليئة بالزهور النادرة في كل مكان، وبذلك ملأت رائحتهم العطرية البيت.

تخلت عن التفكير بمقابلة روهان لكن ما زال الذهاب إلى الزفاف يزعجها، تمنت لو تستطيع أن تعلن عن مرض مفاجيء أجبرها على البقاء بعيداً على الاحتفال. لكن سيبدو الأمر كذبة واضحة. فكرت بقلق، لكنها حقاً مريضة وروحها تنزف.

كان العشاء البارحة مصدر عذاب كبير لها. لقد تحدث غاستون عن كل المواضيع الخاصة والعامة، ما عدا الموضوع الذي يهمها، كانت تقريباً متأكدة أنه تعمد القيام بذلك. لم يصل بالحديث عن سبب مغادرة روهان، وهي بطبيعة الحال، لم تسمح لنفسها أن تسأل.

كانت متأكدة تماماً من بقائه في لاتور مونشوزيت وكانت قد اقنعت نفسها بأنها ستكون قوية لدى رؤيته ثانية وهذا ما جعل عدم رؤيته عذاب لا يحتمل. حاولت أن تشعر بالسعادة لذلك. فرؤية روهان بين حشد كبير سيسبب لها المزيد من الألم. لكن كل ذلك لا يقارن

بالعذاب من عدم رؤيته ثانية. هذا ما كان يحدثها به قلبها.

ما أن استدارت، حتى رأت نفسها في المرآة، فتوقفت لتنظر إلى نفسها بإمعان. لقد كانت ضعيفة سابقاً. لكنها الآن بالتأكيد أشد نحولاً. مع أن الفستان الأحمر الذي ترتديه يبديها جميلة. لكن ليلة بلا نوم أضافت إلى شحوبها ارهاقاً واضحاً في عينيها. كانت تتمنى أن يعطيها الفستان بعض اللون. لقد اختارته من أجل ذلك بالتحديد.

وضعت مفتاح ليه هيبو تحت حجر في المدخل كما اتفقتا، وقادت سيارتها إلى حفلة الزفاف. كل المزارع والبيوت حول لاتور مونشوزيت قد زينت حدائقها وأبوابها بزهور من ورق. فشعرت بالراحة من جمالها وترتيبها.

أخبرها غاستون البارحة، انها عادة محلية تدل على محبة وعلاقة العروس لكل من حولها. لا بد أن ماري كريستين لديها علاقات جيدة مع كل أهل البلدة، هذا ما فكرت به سابين وهي توقف سيارتها، وتصعد مع عدد من الضيوف إلى مكان الاحتفال.

كانت ماري كريستين جميلة بثوبها الحريري الرائع، وكلاهما هي وجاك تلمع السعادة في عيونهما.

توقعت سابين زفافاً عادياً.لكنه كان زفافاً يجمع العائلات في البلدة وكل الجيران يحبون ويعرفون العروسين منذ ولادتهما، تبع مراسيم الزفاف مأدبة عشاء في مطعم وضعت طاولاته في الحديقة بشكل رائع.

وجدت سابين مونيك بجانبها، امسكت المرأة العجوز

يدها بحرارة وقالت: «يسعدني ان اراك ثانية، لكن ما الذي حدث لك؟ انت بحاجة لطعام جيد ولأشعة الشمس لتعيد الورود ثانية إلى خديك، والحب بالطبع.» اضافت بمرح: «اعتقد اننا سنحتفل بزفافك في المرة القادمة.»

اجبرت سابين نفسها على الابتسام: «لا اعتقد ذلك... ابداً.»

نظرت مونيك اليها باستغراب: «لا؟ لكنني لا افهم عندما غادرنا روهان اعتقدنا.. كلنا انه ذهب ليجهز معك بيتكما في آرينسي.» توقفت عن الكلام، لتتابع بحزن: «من الواضح اننا كنا جميعاً مخطئين، انني مندهشة.» تنهدت وهي تتابع: «لكن لا اعتقد انه من الوقاحة التدخل في حل مشاكل الآخرين.»

قالت سابين، بعد صمت طويل: «الآن انا لا افهم، هل تقولين ان روهان قد غادر لاتور مونشوزيت نهائياً... عاد إلى آرينسي.. ليعيش هناك؟»

«بالطبع هذا هو مخططه منذ البداية، انها ميراثه، بكل الاحوال.»

«لكني كنت اعتقد انه يريد لاتور مونشوزيت.»

هزت مونيك كتفيها: «انه ذات قيمة كبيرة، مما لا شك فيه، لكنه بقي هنا بسبب سوء صحة غاستون ولكي يتمكن من تولي مهام الحقول بنفسه، لكن لا يمكن مقارنته مع آرينسي.» اضافت وهي تهز برأسها: «انها أرض كبيرة جداً.»

تابعت: «لقد احس روهان منذ زمن طويل.. بارهاق مضني بين ولائه لجده، وحبه لعائلة دو روشوفور، لقد

بذلوا الكثير من الجهد لاقناعه بالبقاء، لكن منذ ان تحسنت صحة غاستون فجأة لم يعد هناك من سبب لبقائه.»

«من الواضح ان روهان أحس انه يستطيع وضع خطة لمستقبله اخيراً، خاصة الآن لأن جده لم يعد يستطيع تدبر الأمر لوحده ويحتاجه إلى جانبه في آرينسي.»

نظرت إلى سابين نظرة سريعة، وقالت: «هذه تعد حصة حقيرة، بالنسبة لآرينسي، لقد كان هناك الكثير من الكلام، من الطبيعي ذلك، فيما يخص بالقصر.»

قالت سابين: «طبيعي.» بينما كان فكرها يدور ويدور.

كان مكان الاحتفال قديم وبناءه يعود لقرون مضت. حاولت سابين ان تصغي باهتمام إلى كل ما يدور حولها، لكن كل ما كانت تفكر به هو روهان، روهان الآن في آرينسي، على عكس ما صور لها تفكيرها، لقد ادار ظهره ورحل عن لاتور مونشوزيت.

تساءلت بحزن مخيف، ماذا يعني ذلك؟ لقد تحدث والدها بحزن عن فشله في السيطرة على الناس في النهاية، هل يعني روهان بكلامه؟

والآن لقد رحل، لقد خسرته إلى الأبد.

عندما انتهى الاحتفال، اسرعت سابين بالمغادرة لتتخلص من اصوات الفرح والضحك بالاحتفال ومن عدسات المصورين. قادت سيارتها لتعود إلى ليه هيبو.

كانت بحاجة ماسة للبقاء بمفردها لفترة قصيرة كي تفكر، احست وكأن المنزل يلفها حنان وراحة، بينما كانت تتنقل فيه من غرفة إلى أخرى.

احست وكأنه معها في كل غرفة تدخل اليها، سمعت همسات صوته وضحكته في ارجاء المنزل.

ارادت ان تسرع إلى سيارتها وتذهب إلى آرينسي، مهما يكن الأمر. رغبت بذلك بقوة، لكنها لم تستطع، ليس هناك من سبب بعد كل ما حدث، ان تعتقد ان روهان سيرحب بظهورها في حياته مجدداً.

لقد ابعدته عنها بقسوة وقالت له ان حبها ليس إلا وهم وخيال، واكثر من ذلك، لقد قالت له ان يأخذ لاتور مونشوزيت وانطوانيت معه، تذكرت كل ذلك، وهي ترتجف.

كان روهان رجلاً فخوراً بنفسه، كيف يمكن ان يسامح أو ينسى مثل هذه الاهانة؟ من المحتمل انه قد نسي وجودها، فهو لديه حياته، تلك الحياة التي اراد تقديمها لها، لم يعد لها مكان في هذه الحياة الآن.

فكرت انها ستبيع ليه هيبو، ما ان ينتهي الزفاف، سوف تتكلم مع مونيك عن ذلك، ستضع كل الاوراق في يدها، فهي ليست بحاجة إلى المنزل وذكرياته، وعندما ستأتي إلى فرنسا، بالمستقبل، يمكنها البقاء مع والدها.

ان غاستون بحاجة لها، وعلاقتهما ستتطور.. كما ان صحته تتحسن باستمرار، ربما مع الوقت رغبته في اعلان أبوته لها قد يسهل تحقيقها، لكن ليس بعد. هناك وقت طويل سيمر قبل ان يحدث ذلك.

كانت حفلة الزفاف في اوجها عندما عادت إلى القصر، سمعت صوت الموسيقى والضحك تنبعث من القاعة الكبيرة،

رأت عدداً كبيراً من الضيوف يرقصون على الشرفة تحت أنوار الحديقة.

وضعت سابين ابتسامة على وجهها وانضمت اليهم، كان غاستون يجلس على كرسي عالي الظهر في مكان محدد، سارت نحوه ووقفت بجانبه، اخذت تراقب ماري كريستين، تحمل ذيل تنورتها على ذراعها، وهي تتنقل بين الضيوف مع جاك.

قال غاستون وهو ينظر إلى وجهها: «اين كنت صغيرتي؟ لقد كنت قلقاً عليك.»

قالت ببساطة: «كان هناك اشياء عليّ رؤيتها.»

توقف الرقص فجأة، وابتعد الناس قليلاً عن العروسين السعيدين. احد الرجال كان يحمل بيده وعاء كبيراً من الزجاج حيث ترمى به المال، بينما راقبت سابين ماري كريستين وهي ترفع ذيل فستانها.

قال غاستون: «انهم يدفعون المال ليشاهدوا الوردة المطرزة التي تضعها العروس على ركبتها، لكن راقبي...»

دار الرجل مرة ثانية على الحضور، وفي هذه المرة وضعت النساء المال في الوعاء، وطلب من ماري كريستين ان تترك ذيل فستانها ليصل إلى الأرض.

قال غاستون: «كلما كانت العروس اجمل، كلما زاد المال في الوعاء، يدفع الرجال ليروا، بينما زوجاتهن تدفعن لمنعهم.»

قالت سابين مقتنعة: «استطيع ان اتخيل ذلك.»

عاد الجميع للرقص في دائرة الآن، وبدأت الفرقة

الموسيقية العزف، واخذ الراقصون يبدلون شركائهم، احد الشباب الموجودين في الحفل اقترب نحو سابين وشدها نحو الدائرة، لم تكن سابين تعلم خطوات الرقص، لكن ذلك غير مهم، وجدت نفسها ترقص مع جاك، ثم دفعها نحو الشخص الذي بجانبه وهو يضحك.

قال: «حظاً موفقاً.»

شهقت سابين وهي تجد نفسها امام شخص آخر، فتحت عينيها وهو تنظر إلى وجه روهان.

اختفت الموسيقى والاصوات والضحكات بطريقة ما.

قالت اسمه، ولم تعد تستطيع التفوه بكلمة أخرى.

تغيرت الموسيقى الصاخبة. فأمسك بيدها وهما يرقصان قالت: «لم اعتقد انك ستحضر.»

«لم ارغب في الحضور، لكنني مدين لجاك وماري كريستين، انهما من اعز اصدقائي.»

صمتت لفترة قصيرة، بعدها قالت: «لقد اخبراني انك تعيش في آرينسي الآن.»

قال بصوت عادي: «نعم.»

بحثت عيناها عن الغموض العميق في وجهه ثم قالت بصوت منخفض: «لقد اعتقدت انك تريد لاتور مونشوزيت.»

قال بقسوة واضحة: «اعلم تماماً بما فكرت، لكنك كنت مخطئة.»

احمر وجهها خجلاً: «اعلم ذلك أيضاً.»

«حسناً، وهذا يجعل كل الأمور جيدة بالطبع.»

قالت بحزن: «لا، أنا لست غبية لافكر هكذا، لكنني اريد ان تعرف انني آسفة.»

هز برأسه: «وانا أيضاً كنت مخطئاً عندما اعتقدت انك بحاجة لحمايتي، لكنك لست كذلك، انك من عائلة دو روشوفور، جميلتي سابين، انني معروض للبيع، وان جشعي لهذا القصر... وهذه الحقول هي كل ما يهمني ويشغلني.»

قالت تدافع عن نفسها: «لقد اخبرت والدي من اكون، لماذا... اذا لم تكن تريده ان يعترف بي... وان يجعلني وريثته؟»

شد عليها بقوة حتى الألم: «لقد اعتقدت ان لديه الحق ان يعرف بذلك، لكنني لم اكن اريد ان تعرفي، ليس على الفور.

لقد قلت له انني ساخذك إلى آرينسي معي... وابقيك هناك بعيداً عن كل الاكاذيب والألم، كنت اريد ان اخترع قصة انك ابنة فابيان... حتى نتزوج على الاقل، واشعر انك بأمان كفاية وافرح لوجودك معي وعندها تملكين القدرة لمواجهة الحقيقة. وافق غاستون على ذلك بمضض، كان هناك اشياء عليه القيام بها، لكن لسوء الحظ سمعتنا السيدة هيلواز ونحن نتكلم، وقررت ان تتدخل على طريقتها، لقد افسدت كل شيء.»

قالت بصوت ضعيف: «قالت لي انك تهتم فقط بالأرض، وانك قد تتزوج من انطوانيت لتحصل على كل أملاك عائلة دو روشوفور، لم تكن الوحيدة التي قالت ذلك.»

قال بحزن: «كانت مولعة بانطوانيت، وفي عقلها، قد تخيلتها الابنة التي لم تنجبها، ولقد قررت انني يجب ان احبها واتزوجها، لم استطع ان اقنعها ان هذا لن يحدث ابداً، مع انني حاولت ذلك مراراً... مع كلتاهما.

«لكنك كنت تحب عملك هنا... كنت فخوراً جداً به.»

«كنت فقط اقوم بما يجب علي القيام به، حتى يتمكن جاك من تولي ذلك بنفسه.» تابع بلطف اكثر: «لقد اعتنيت بهذه الكروم من اجل فابيان، هذا كل ما في الأمر، لأنه طلب مني القيام بذلك، لكنني لم افكر يوماً بها لنفسي، على الرغم مما اعتقده الجميع، وعلى رغم كل الاغراءات التي قدمت لي لأبقى.» زم شفتيه باستخفاف: «انت، بالطبع، كنت الخيار الأخير... الخيار الذي اعتقد والدك انني لن اتمكن من مقاومته، لقد نسيت كم يحب التحكم والسيطرة على الناس.»

حدقت به: «ومع ذلك ما زلت ترفض؟»

نظر روهان اليها غير مصدقاً: «من الطبيعي ان ارفض، لست بحاجة كي اتزوج وريثته، جميلتي، أنا مثلك لدي حياة حافلة علي العودة اليها، ولم يعد يمكنني الانتظار، كنت قد اخبرت جدي انني سأعود نهائياً إلى البيت... وانني سأحضر معي عروس المستقبل ورفيقة العمر.»

«لماذا لم تخبرني كل ذلك... في ذلك الوقت؟»

قال: «كنت سافعل ذلك، لكنني قبل ان اقول شيئاً اكتشفت فجاة انني لا اعني لك الا مجرد مغامرة رومانسية صغيرة في حياتك.»

اضاف بمرارة: «بعد ذلك لم يعد للكلام أي معنى.»

ارتجفت سابين، عضت شفتها حتى الألم: «روهان، انا...»

قاطعها قائلاً: «آه، اعلم انك كنت مشتتة الافكار ومضطربة من كل ما يجري من حوادث حولك، كنت اتوقع

ذلك، لكنني اعتقدت انك ستلجئين إلي للراحة... للتخفيف عنك وللشعور بالامان، وعندما نصبح في آرينسي معاً، اعتقدت اننا سنتمكن من الحديث معاً... والتفكير بما هو افضل لمستقبلنا، لكنك جعلت الأمر واضحاً جداً ان لا مستقبل لدينا.»

هز رأسه ثانية: «اعتقد ان تلك كانت أسوء لحظة في حياتي، حتى اسوء من ادراكي ان المسكينة السيدة هيلواز قد خرجت لمقابلتك... وكم كانت متوترة وفاقدة الادراك بما تفعله..»

قالت سابين بهدوء: «كنت فاقدة الادراك مثلها، كنت اتعرض لصدمات متتالية.» تنهدت قليلاً قبل ان تتابع: «آه، اعلم انه كان عليّ الثقة بك... والايمان بما تقوله... وان لا استمع لأي شخص كان، لكن كل شيء جرى بسرعة... وانا لا اعلم الا القليل عنك... كل الذي كنت اعلمه انني اغرمت بك بقوة.»

قال: «لقد اعتقدت ان ذلك كاف، كان كذلك بالنسبة لي لكن كان من الغباء مني ان اتوقع...» تنهد بحدة وتابع: «لكن لماذا التحدث عن ذلك؟ لقد انتهى كل شيء الآن، ولن ارتكب ذات الخطأ ثانية.»

الأمل الاخير الذي كانت تحتفظ به قد مات في داخلها، وفي ذات اللحظة اختفت الانوار في القصر كله، سكتت الموسيقى وبدأ الصراخ والكلام ينتشر في القاعة الكبيرة.

سيطرت سابين على الألم في داخلها وقالت: «ما هذا؟ هل قطعت الكهرباء فجاة؟»

اجاب روهان: «انه انقطاع متعمد، في هذه اللحظة يهرب

العروسان إلى المكان الذي قررا ان يختبآ به، حتى يصل الجميع اليهم مع الحساء، بالطبع.»

«هل يتمكنون من ايجادهم دائماً؟»

«ليس دائماً، يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى يزوروا كل بيت في الجوار ويتمتعوا ببعض الضيافة عند كل زائر.»

عادت الغرفة تتلألأ بالانوار، وبالضحك والمزاح، وبدأ الضيوف بالاسراع نحو الباب.

صرخ احدهم: «هيا، تعالوا، لا بد انهما في مزرعة شقيق جاك.»

وجدت سابين نفسها تسير بنفس الاتجاه، وقد وضع روهان يده بقوة حول كتفيها، حاولت ان تتوقف عن السير، لكن روهان كان يشدها وكانه سيرفعها عن الأرض لتصل إلى الباب الخارجي.

قالت معترضة: «لا اريد ان اجدهم، اريد ان يحصلا على بعض الهدوء.»

قال روهان: «انك محقة.» ركضت الناس من امامهما، لتصل إلى السيارات الواقفة عند المدخل الرئيسي للقصر، امتلأ الجو بأصوات نفير السيارات، وما ان تحركت جميع السيارات حتى تابع روهان: «اعتقد اننا بحاجة نحن أيضاً لبعض الهدوء.»

فتح باب سيارته فجلست سابين على المقعد الامامي، بجانبه وهي ترفع شعرها عن عينيها، سارا بالسيارة ببطء واضح. قال: «ماذا كنت تفعلين بنفسك في انكلترا؟ تتضورين جوعاً حتى الموت؟ استطيع ان اعد عضامك من خلال مظهرك.»

قالت بصوت عالٍ: «هذا لا يعنيك.»

قال بجدية: «لا تكوني غبية، فصحة زوجتي وسعادتها من اهم الأمور بحياتي.»

بدأ قلبها يخفق بسرعة وألم قالت: «اعتقدت انك لن تقدم على ذات الخطأ ثانية.»

قال: «لن افعل، لكن خلال الوقت الذي سنتزوج فيه، ستصبحين تعرفينني كما تعرفين نفسك، لن يكون هناك مجالاً للشك وعدم الثقة بيننا ثانية.» ابتسم وهو يتابع: «موافقة؟»

همست: «نعم.» كانت تحس بدموع الفرح تتحرك في مقلتيها قالت: «روهان.. إلى اين نحن ذاهبان؟ ليس إلى ليه هيبو، كما اعتقد.»

انفجر ضاحكاً: «هل هو المكان الذي اختاراه العروسان ليتمتعا بفرصة البقاء بمفردهما؟ حسناً، لن يبحث عنهم احد هناك... على الاقل ليس انا، اتمنى لهما حياة سعيدة مثلنا، يا حبيبتي، لا، انني آخذك إلى آرينسي، كما قد خططت سابقاً، فما زال جدي ينتظر بفارغ الصبر ان يراك.»

بدأت سابين تفكر في والدها، قالت: «لكن اليس علينا اخبار احد بذلك، لدي حجز في الفندق، كذلك هناك والدي..»

قال: «لقد اتصل غاستون بالفندق ليلغي الحجز، تماماً كما اتصل بي ليلة البارحة، وطلب مني الحضور إلى الزفاف.» توقف قليلاً ليتابع: «لقد كان مقنعاً جداً.»

احست سابين بالحيرة، وقالت: «آه، لقد اعتقدت انه توقف عن السيطرة والتحكم بالناس. ماذا قال لك؟»

«قال انك تذوبين كالشبح، وانك تحاولين عدم ذكر اسمي، قال انه واضحاً بالنسبة اليه انك تذوبين شيئاً فشيئاً، وانه لا شيء يمكن ان ينقذك الا اذا عدت اليك وعشنا معاً طوال العمر.»

همست بشوق: «آه، نعم، روهان...»

بعد ذلك لم يعد هناك من حاجة للكلام.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

تمت